الأدوات الدالة

على الاستدراك والإضراب

في صحيح مسلم "ت: ١٦١هـ"

في ضوء نظرية السياق)

هناء علي أحمد نواية

مدرس أصول اللغة بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

بنات - القاهرة

الأدوات الدالة على الاستدراك والإضراب في صحيح مسلم "ت: ١٦١هـ" في ضوء نظرية السياق

هناء علي أحمد نواية

قسم أصول اللغة ،كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات – القاهرة جامعة الأزهر، مصر.

الإيميل الجامعي:hanaanawaya.2057@azhar.edu.eg

الملخص :

تعد الأداة هي الآلة والوسيلة التي يستخدمها المتكلم للربط بين أجزاء كلامه، وتكون دلالتها في غيرها، كما أنها هي مايتوسل به المتكلِّم لإنشاء معانٍ مختلفة يقتضيها المقام، وظروف التعبير، وتتسم الأداة في لغتنا العربيّة داخل سياقاتها بالمرونة؛ إذ تحمل معانٍ أخرى متعددة لغير ما وضعت له في أصل اللغة، ويأتي السياق ليكون هو الأساس في تحديد معنى معيّن من هذه المعاني.

ولذا كان الهدف من البحث هو محاولة الوقوف الأدوات الدالة على معنى الاستدراك والإضراب في صحيح مسلم .وكان منهجي في البحث منهجًا وصفيا تحليليًّا، حيث حاولت توضيح هذه الأدوات ، محللةً معناها من خلال السياق الذي وردت فيه .

هذا وكان من أهم النتائج التي توصل إليها البحث ما يلي :

١- تعدد الروايات في الحديث الشريف يساعد على فهم الحديث، وكأن الروايات تكمل بعضها بعضا، وهذا مايلمسه الدارس في الحديث الشريف، لذا كان للسياق الخارجي الدور الأكبر في إبراز المعنى السياقي للأدوات والحروف مجال البحث والدراسة.

٢- تركيب الاستثناء المنقطع هو تركيب الاستدراك .

٣- يؤدي المعنى الوظيفي للأداة النحوية دورًا مهمًا في الكشف عن المعنى العام للحديث.

٤- للسياق الدور الرئيس في تحديد معاني الكلام، فلا يمكن فهم الألفاظ فهمًا صحيحًا بمعزلٍ عن سياقاتها، ومن خلال هذا البحث استطاع السياق أن يساعد في تحديد معاني الادوات الدالة على الاستدراك والإضراب، وخاصَّةً وأن هذه الأدوات تحمل أكثر من معنى .

الكلمات المفتاحية: الأدوات ، الاستدراك، الإضراب، السياق.

Tools indicative of catch-up and strike in Sahih Muslim "T.: 161 AH"

In light of context theory

Hanaa Ali Ahmed Nawaya

Department of Fundamentals of Language, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls, Cairo, Al-Azhar University, Egypt.

Email: hanaanawaya.2057@azhar.edu.eg

Abstract :

The tool is the machine and the means used by the speaker to link the parts of his speech, and its significance is in others, and it is what the speaker begs to create different meanings required by the denominator, and the conditions of expression, and the tool in our Arabic language within its contexts is flexible, as it carries multiple other meanings other than what was put to him in the origin of the language, and the context comes to be the basis for determining a specific meaning of these meanings.

Therefore, the aim of the research was to try to stand the tools indicative of the meaning of catching up and striking in Sahih Muslim.My methodology in the research was a descriptive analytical approach, where I tried to clarify these tools, analyzing their meaning through the context in which they were received.
One of the most important findings of the research was the following:

1- The multiplicity of narrations in the hadith helps to understand the hadith, as if the narrations complement each other, and this is what the student touches in the

hadith, so the external context had the largest role in highlighting the contextual meaning of the tools and letters in the field of research and study.

2- The installation of the interrupted exception is the installation of catch-up.

3- The functional meaning of the grammatical tool plays an important role in revealing the general meaning of the hadith.

4- The context has the main role in determining the meanings of speech, it is not possible to understand the words correctly in isolation from their contexts, and through this research the context was able to help determine the meanings of the tools indicative of catch-up and strike, especially since these tools carry more than one meaning.

Keywords: tools, catch-up, strike, context.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيّنا الكريم، سيدنا محمَّدٍ النبي الهادي الأمين، المبعوث رحمةً للعالمين – صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لسنته أجمين – وبعد: فإنَّ الأداة تعد هي الآلة والوسيلة التي يستخدمها المتكلم للربط بين أجزاء كلامه ، وتكون دلالتها في غيرها، يقول سيبويه: (الكلم: اسم وفعل وحرف جاء لمعنى، ليس باسم ولا فعل)[١]، كما أنها هي مايتوسل به المتكلِّم لإنشاء معانٍ مختلفة يقتضيها المقام، وظروف التعبير، وتتسم الأداة في لغتنا العربيّة داخل سياقاتها بالمرونة؛ إذ تحمل معانٍ أخرى متعددة لغير ما وضعت له في أصل اللغة، ويأتي السياق ليكون هو الأساس في تحديد معنى معيّن من هذه المعاني.

وتتمثل أهمية البحث وسبب اختياره:

أولًا– رغبتي الشديدة في خدمة حديث نبيّنا محمدٍ – صلى الله عليه وسلَّم – في جانبٍ من جوانبه اللغويَّة، فكان لي شرف أن أستظل بظلاله طيلة فترة البحث. وحديث نبيّنا محمـدٍ – صلى الله عليه وسلَّم – قد حوى بين سطوره كل صنوف البلاغة والجزالة والفصاحة، حتى استطاع – صلى الله عليه وسلم – أن يعبّر أدق تعبيرٍ عن أصول الدين ومبادئه، وهو الذي قال فيه سبحانه:﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ١١٣﴾ [٢]. وقد قال الجاحظ عن لغته وبلاغته – صلى الله عليه وسلَّم – : (لم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم

---

١ – الكتاب لسيبويه، ١٢/١، تح/ عبد السلام محمد هارون، دار الرفاعي – القاهرة.

٢ – سورة النساء : من الآية ١١٣

يتكلَّم إلا بكلامٍ قد حفَّ بالعصمة، وشيّد بالتَّأييد ، ويُسِّرَ بالتوفيق، وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبَّة، وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حُسن الإفهام، وقلَّة عدد الكلام ...، ثمَّ لم يسمع الناس بكلامٍ قط هو أعمُّ منه نفعًا، ولا أقصدُ لفظًا، ولا أعدل وزنًا، ولا أجمل مذهبًا، ولا أكرم مطلبًا، ولا أحسن موقعًا، ولا أسهل مخرجًا، ولا أفصح معنى، ولا أبْيَنُ فحوى من كلامه – صلى الله عليه وسلمَّ –)[1].

ثانيًا: قلة الدراسات اللغويَّة التي أُقيمت حول الحديث الشريف.

ثالثًا– لمَّا كانت المعاني التي تخرج إليها الأدوات النحوية كثيرة في الحديث الشريف، وقد تحدثت كُتُب النحو عن هذه المعاني، فحاولت استخراج تلك الأدوات الدالة على معنى الاستدراك والإضراب في سياق الحديث الشريف،من خلال كتاب "صحيح مسلم"، وتوثيق تلك المعاني بأقوال النحاة، وأرجو من الله أن يكون قد حالفني الصواب في دراستي.

وقد هداني سبحانه إلى اختيار هذا الموضوع ، وجاء في عنوان: **(الأدوات الدالة على الاستدراك والإضراب في صحيح مسلم "ت: ١٦١هـ" في ضوء نظرية السياق).**

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في هذا التساؤل: ماهي الأدوات التي خرجت عن معناها إلى معنى الاستدراك والإضراب؟ ومادور السياق في تحديد معاني أدوات الاستدراك والإضراب في صحيح مسلم؟

[1] – البيان والتبيين للجاحظ، ١/ ١٩، تح/ عبد السلام هارون، دار الجيل – بيروت.

الهدف من البحث:

يهدف البحث إلى بيان دور السياق في تحديد دلالة الأدوات التي خرجت عن معناها الأساسي في أصل اللغة، إلى معنى الاستدراك والإضراب.

منهج البحث:

١- سار البحث على المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي ، حيث قمت بقراءة الأحاديث الواردة في صحيح مسلم؛ لاستخراج الأدوات الواردة به ، والدالة على معنى الاستدراك والإضراب، محاوِلةً فهم معانيها، ثم وصف طبيعة هذه الأدوات في أصل اللغة، ثم قمت بتحليل معاني هذه الأدوات في سياق الحديث الشريف.

٢- جمع المادة العلمية – موضوع البحث والدراسة – من كتب اللغة وشروح الحديث.

٣- تحليل معاني الأدوات في ضوء نظرية السياق ، وقد تطلَّب ذلك الاستدلال بأقوال النحاة، وشرَّاح الحديث، مع توثيق النصوص من مظانها الأساسية.

٤- كما كان منهجي في ذكر الحديث أنني إن وجدت الحديث قصيرًا ذكرته كاملًا، وذكرتُ قبله جملة (نصّ الحديث)، وإن كان الحديث طويلًا حاولتُ قدر الإمكان الاقتصار على موضع الشاهد، مشيرةٌ إلى ذلك بجملة (جزء من نص الحديث).

٥- أذكر الأداة – موضوع البحث والدراسة – أولًا، ثم أذكر أقوال النحاة فيها، ثم ذكرالحديث الشريف الذي وردت به الأداة، ثم ذكر المعنى العام للحديث، ثم تحديد موضع الشاهد من الحديث، ثم ذكر المعنى السياقي للأداة محاولة الترجيح من خلال السياق للمعنى الذي يدور

عليه صلب الدراسة، وهو معنى الاستدراك والإضراب، مبيِّنةً القرائن والأدلة من خلال السياق، مستدلة بأقوال النحاة ، وشرَّاح الحديث في ذلك.

٦- كان منهجي في توثيق الحديث ذكر متن الحديث من صحيح مسلم، مع ذكر الجزء ورقم الصفحة، والكتاب والباب الذي ورد فيه الحديث.

٧- قمتُ بترجمة الراوي في الحاشية، وماكان ذو شهرة واسعة لم أتعرَّض للترجمة له، كالسيدة عائشة، وأبي هريرة – رضي الله عنهما – .

٨- كتابة الآيات القرآنية الواردة في البحث بخط المصحف.

٩- توضيح معاني الألفاظ الغريبة في الحاشية.

الدراسات السابقة:

لم يكن هذا البحث جديدًا في بابه، بل سبقه عددُ من الدراسات اللغوية في هذا المجال، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١- تناوب استعمال حروف المعاني في الخطاب النبوي – دراسة في أحاديث نبويَّة من صحيح البخاري- ، بوزعة عبد الحميد.

٢- التضمين في حروف الجر في صحيح البخاري – دراسة نحوية دلالية – ، إيناس شعبان محمد درباس.

٣- الأداة "حتى" في الصحيحين – دراسة نحوية – ، حسين الحكمي.

٤- معاني حرف الباء وأثره في تفسير الحديث النبوي في كتاب "عمدة القاري" للإمام العيني تطبيقيًّا ، أسماء محمد سليمان جاد.

٥- تعدد المعنى الوظيفي للأداة النحوية في الحديث الشريف – دراسة تطبيقية – ، حبيب أحمد علي العزاوي .

٦- أثر كلام العرب في التوجيه النحوي للأداة دراسة في كتب حروف المعاني العامة، بكر عبد الله خورشيد.

مكونات الدراسة:

اقتضت طبيعة الدراسة أن يكون البحث مشتملًا على مقدمة ، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وبها أهم النتائج التي توصَّل إليها البحث، ثم توصيَّات البحث، ثمَّ ثبت المصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث، أمَّا المقدمة فتحدثت فيها عن أهمِّيَّة الموضوع، وسبب اختياره، ومشكلة البحث، والهدف منه، والمنهج الذي سار عليه، والدراسات السابقة، ثم التمهيد ،وعنوانه **(التعريف بمفردات العنوان)** وتحدثت فيه عن :

أولًا- تعريف الاستدراك والإضراب. ويتناول:

١- تعريف الاستدراك.

٢- تعريف الإضراب.

ثانيًا- أدوات الاستدراك والإضراب المعهودة في أبواب النحو.

ثالثًا- الأداة والنظرية السياقية. ويتناول:

١- التعريف بالأداة.

٢- التعريف بنظرية السياق، ودورها في تحديد المعنى بصورة موجزة.

ثم المبحث الأول بعنوان:- الأدوات الدالة على معنى الاستدراك في صحيح مسلم في ضوء نظرية السياق.

ويتناول الأدوات التالية:-

١- الأداة " إلَّا ".

٢- الأداة " بَيْدَ ".

٣- الأداة "غير ".

٤- الحرف " لولا ".

ثم المبحث الثاني بعنوان:- الأدوات الدالة على معنى الإضراب في صحيح مسلم في ضو نظرية السياق. ويتناول الأدوات التالية:-

١- الحرف " أو ".

٢- الحرف " لا ".

٣- " لكن " بمعنى " بل ".

ثم الخاتمة، وبها أهم النتائج التي توصَّل إليها البحث.

وبعد : فإنّي أحمد الله – تعالى – حمدًا يليق بذاته، وكما ينبغي لجلال وجهه الكريم، وعظيم سلطانه، على توفيقه وتيسيره لي، وعلى أن جعل لي طيلة فترة البحث شرف التدبُّر في معاني الحديث الشريف، ومحاولة استخراج بعضٍ من أسراره المكنونة بين سطوره وهو للثناء والحمد أهل، ولولا نعمته عليّ ما كان لي شرف خدمة حديث نبيِّه الكريم – صلى الله عليه وسلَّم – ، وأسأل الله – تعالى – بمنِّه وكرمه، وهو الجوَّاد الكريم، أن يستعملنا في طاعته، وأن يجعل ماكُتب في هذا البحث من حقٍّ وصواب خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به في فهم حديث نبيِّنا الكريم – صلى الله عليه وسلَّم – ، وأن يعفو عمَّا فيه من الزلل، وأن يردَّنا إلى الحق ردًّا جميلًا، وصلِّ اللهم وسلِّم وبارك على سيدنا ونبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحابته والتابعين له بإحسانٍ إلى يوم الدين، وسلِّم تسليمًا كثيرًا، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

التمهيد

١ – تعريف الاستدراك:

الاستدراك لغةً : أصله (درك) (الدَّالُ وَالرَّاءُ وَالْكَافُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ لُحُوق الشَّيءِ بِالشّيْءِ وَوُصُولُهُ إِلَيْهِ. يُقَالُ أَدْرَكْتُ الشّيءَ أُدْرِكُه إدراكاً. وَيُقَالُ فَرَسٌ دَرَكُ الطَّرِيدَةِ، إِذَا كَانَتْ لَا تَفوتُهُ طَرِيدةً. وَيُقَالُ أَدْرَكَ الْغُلَامُ وَالْجَارِيَةُ، إِذَا بَلَغَا. وتدارَكَ القومُ: لَحِق آخرُهم أوّلَهم. وتدارَكَ الثَّرَيَانِ، إِذَا أَدْرَكَ الثَّرَى الثَّانِي المَطَرَ الأوّل.)[١] ، و (عَلَيْهِ الْقَوْلُ أَصْلَحَ خَطَأَهُ، أَوْ أَكْمَلَ نَقْصَهُ، أَوْ أَزَالَ عَنْهُ لَبْسًا)[٢].

أمَّا الاستدراك في اصطلاح النحاة هو: (دفع توهُّم يتولَّد من الكلام السابق، دفعًا شبيهًا بالاستثناء)[٣] ، وهو: (تعقيب الكلام برفع مايتوهم ثبوته أو نفيه، يقال: زيدٌ عالمٌ، فيوهم ذلك أنه صالح، فتقول: لكنه فاسق، وتقول: زيدٌ

---

١ – مقاييس اللغة لابن فارس، ٢/ ٢١٩، تح/ عبد السَّلام محمد هَارُون، اتحاد الكتاب العرب،١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢م.

٢ – المعجم الوسيط ، باب الدال، ١/ ٢٨١، مجمع اللغة العربية إعدادًا وتحقيقًا، دار الدعوة.

٣ – شرح الرضي على الكافية ، ٤/ ٣٣٢، تح/ يوسف حسن عمر، طبعة جديدة من منشورات جامعة قاريونس ببنغازي، ط/ ثانية ، ١٩٩٦م .

شجاعٌ، فيوهم ذلك أنه ليس بكريم، فتقول: لكنه كريم)[١]، (أوهم ذلك نفي الكرم؛ لأنهما كالمتضايفين، فارتفع ذلك بـ "لكنَّ")[٢].

٢- تعريف الإضراب:

الإضراب لغةً : (يُقَالُ أَضْرَبَتِ النّاقَةَ: أَنْزَيْتُ عَلَيْهَا الْفَحْلَ. وَأَضْرَبَ فُلَانٌ عَنِ الْأَمْرِ، إِذَا كَفَّ، وَهُوَ مِنَ الْكَفّ، كَأَنَّهُ أَرَادَ التَّبْسُّطَ فِيهِ ثُمَّ أَضْرَبَ، أَيْ أَوْقَعَ بِنَفْسِهِ ضَرْبًا فَكَفَّهَا عَمَّا أَرَادَتْ)[٣]، و

(أَضْرَبْتُ عَنِ الشَّيْءِ: كَفَفْتُ وَأَعْرَضْتُ)[٤].

أمَّا في اصطلاح النحاة، فالإضراب هو: (إزالة الحكم عما قبل أداة الإضراب حتى كأنه مسكوت عنه، وجعله لما بعدها)[٥].

وبناءً على ماسبق فالإضراب يخالف الاستدراك؛ لأنَّ الحكم السابق لايبطل في الاستدراك، ففي قول القائل: جاء زيدٌ ولكن أخاه لم يأت، فإثبات المجيء لزيد لم يبطل، بل نفى المجيء عن أخيه، وأما في الإضراب فيبطل الحكم

---

١ – شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام الأنصاري، ص١٤٨، تح/ محمد محي الدين عبد الحميد، ط/ الحادية عشرة، القاهرة ١٣٨٣هـ .

٢ – اللمحة في شرح الملحة لمحمد بن الحسن الصايغ، ٢/ ٥٤٢، تح/ إبراهيم بن سالم الصاعدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية – المدينة المنورة– السعودية، ط/ أولى، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٤م.

٣ – مقاييس اللغة، (ضرب)، ٣/ ٣١٢.

٤– لسان العرب لابن منظور، (ض ر ب)، ١/ ٥٤٣، ط أولى، دار صادر – بيروت.

٥ – الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي، ص٢٣٧، تح/ فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط/ أولى، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٢م.

السابق؛ فإذا قال: جاء زيدٌ، ثم بان له أنه غلط فيه، فقال: بل عمرو، أبطل الحكم الأول بإثبات المجيء لزيد، وجعله في حكم المسكوت عنه[١].

ثانيًا- أدوات الاستدراك والإضراب المعهودة في أبواب النحو:

١- أداة الاستدراك، وهي الكلمة النحويَّة "لكن":

وتكون مخففة "لكنْ" بسكون نونها، و (معنى "لكنْ" الاستدراك)[٢]، وذلك (بعد النفي خاصة، كقولك: ماجاءني زيدٌ لكنْ عمرٌو، ولايجوز: جاءني زيدٌ لكنْ عمرٌو؛ لأنَّ "لكنْ" مدخلة على حروف العطف، و "بل" أقعد منها، فلذلك جاز فيها الوجهان، أو بعد النهي، كقولك: لاتضرب زيدًا لكنْ عمرًا)[٣]. يُستنتج من ذلك أنَّ "لكنْ" المخففة يشترط فيها أن تكون مسبوقة بنفي أو نهي إذا جاءت للاستدراك، فإذا لم تسبق بنفي أو نهي فهي لمعنى العطف أقرب.

وتكون مشدَّدة " لكنَّ ". وهي للاستدراك عامة (مشدَّدة كانت أو مخففة، وليست للغلط، إلا أنها في العطف مخفَّفة البتَّة، وما بعدها مخالف لما قبلها؛ لأنَّ ذلك هو معنى الاستدراك...وإذا كانت معها "الواو" فالعطف بها لا بـ " لكن" فالاستدراك لازم ، والعطف عارضٌ فيها)[٤]. ففي كلٍّ من "

---

١ – تفصيل ذلك في الجنى الداني للمرادي، ص٢٣٦، ٢٣٧.

٢ – اللمع في العربية لابن جني، ص٩٣، تح/ فائز فارس، دار الكتب الثقافية – الكويت، ١٩٧٢م.

٣ – اللمحة في شرح الملحة للصايغ، ٢/ ٧٠٠.

٤ – اللباب في علل البناء والإعراب لأبي البقاء العكبري، ١/ ٤٢٧، تح/ غازي مختار طليمات، دار الفكر – دمشق،ط/ أولى، ١٩٩٥م.

لكنْ " المخففة، و " لكنَ " المشددة معنى (استدركْتُ)، ومعنى الاستدراك: (تعقيب الكلام بنفي مايتوهم منه ثبوته، أو إثبات مايتوهم منه نفيه)[١]، فإذا قلت : (جاءني زيد، فكأنه توهم أنَّ عمرًا جاءك لما بينهما من الأُلفة، فرفعت ذلك التوهم بقولك: لكنَّ عمرًا لم يجيء)[٢].

وعليه فأدوات الاستدراك تتمثل في الحرف "لكن" مشددًا ومخففًا.

٢- أداة الإضراب وهي الكلمة النحويَّة "بل" :

أداة الإضراب هي "بل"، ومعنى الإضراب: (الإضراب عن الأوَّل ، والإثبات للثاني، نحو قولك: ضربْتُ زيدًا بل عمرًا، وجاءني عبد الله بل أخوه، وماجاءني رجل بل امرأة)[٣]، ويشرك بها في الإعراب، وتضرب بها عن الأول نفيًا كان أو إثباتًا[٤]. والإضراب على ضربين إمَّا ("الإضراب الإبطالي"، وإمَّا "الإضراب الانتقالي" ، فالإبطالي: هو الذي يقتضي نفي الحكم السابق في الكلام قبل "بل"، والقطع بأنه غير واقع ، ومُدَّعيه كاذب، والانصراف عنه واجب إلى حكم آخر يجيء بعدها...ومن الأمثلة قوله تعالى في المشركين:﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ

---

١ – حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية بن مالك لمحمد بن علي الصبان، ١/ ٥٣٧، مكتبة مشكاة الإسلامية.

٢ – شرح الرضي على الكافية، ٤/ ٣٣٢

٣ – المقتضب للمبرد، ١/ ١٥٠، تح/ محمد عبد الخالق عضيمة – القاهرة، ط/ ثالثة، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

٤ – تفصيل ذلك في اللباب في علل البناء والإعراب للعكبري، ١/ ٤٢٧

﴿مُّكۡرَمُونَ ٢٦﴾[1] أي: بل هم عباد مكرمون، فقد أبطل الحكم السابق ، ونفاه، وأثبت حكمًا آخر بعده، فكان الأصل: وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا ؛ فإنَّ الذين اتخذهم هم عبادٌ مكرمون... والانتقالي هو : الذي يقتضي الانتقال من غرضٍ قبل الحرف "بل" إلى غرضٍ جديدٍ بعده، مع إبقاء الحكم السابق على حاله، وعدم إلغاء مايقتضيه. كقوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧﴾[2]، فالغرض الذي يدور حوله الكلام قبل "بل" هو : الطاعة بالطهارة من الذنوب، وبعبادة الله وبالصلاة...، والغرض الجديد بعدها هو حُبِّ الدنيا , وتفضيل الآخرة عليها ...وكلا الغرضين مقصودٌ باقٍ على حاله.[3]

ثالثًا– الأداة والنظرية السياقية:

١– التعريف بالأداة.

الأداة هي واحدة من الوحدات النحوية الإفراديَّة **(Tagmemes)** , وهي (تلك الوحدات الصغرى التي تدخل ضمن مكونات جملةٍ ما، بحيث تدل على معنى مستقل من معاني النحو)[٤]. فالأداة تعد الآلة والوسيلة التي تربط بين أجزاء الكلام، وتكون دلالتها في غيرها.

والأدوات من النوع الثاني من أنواع الوحدات النحوية الإفراديَّة والتي أُطلق عليها مصطلح (الكلمات الفارغة)، وهي: مادلَّت على معنى نحوي

---

1 – سورة الأنبياء : آية ٢٦

2 – سورة الأعلى : الآيات من ١٤ : ١٧

3 – النحو الوافي لعباس حسن ، ٣/ ٦٢٣، ٦٢٤، دار المعارف، ط/ الخامسة عشرة.

٤ – دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، د/ عبد الفتاح البركاوي، ص٢٢٨، رقم الإيداع، ١٠٠٨٢/ ١٩٩١م.

فقط، ولا تُحدث في الذهن صورة مقابلة لها في العالم الخارجي، فلا تشير إلى شيء إذا استُعملت خارج التركيب، ويمكن تسميتها بـ "الألفاظ النحويَّة"؛ نظرًا لاقتصار إفادتها على المجال النحوي، ومن ثمَّ فهي غير ممكنة التعريف معجميًّا، ويمكن تحديد معاني هذه الكلمات أو الألفاظ النحوية من خلال مقدار إسهامها في الجمل التي ترد فيها، وهي تمثِّل في اللغة العربية ما يُعرف بـ " حروف المعاني" مثل أدوات العطف، والشرط ، والاستفهام، وحروف الجر، وغير ذلك[١]. وقد أشار د/ البركاوي – رحمه الله – في كتابه أنَّ للكلمات الفارغة مصطلحات أخرى مثل: كلمات الصيغة، أو كلمات الوظيفة، أو الكلمات البنيويَّة (التركيبيَّة)، ولكن مصطلح "الكلمات النحويَة" هو أنسبها؛ حيث نستطيع بموجب هذه التسمية أن نقسم الكلمات في العربيَّة إلى : كلمات معجميَّة، و كلمات نحويَّة[٢]. وقد سمَّاها ابن هشام بمصطلح "المفردات"، حيث قال: (وأعني بالمفردات الحروف وما تضمَّن معناها من الأسماء والظروف فإنَّها المحتاجة إلى ذلك).[٣]

٢ – <u>التعريف بنظرية السياق، ودورها في تحديد المعنى.</u>

التعريف بالسياق: (السياق فى الكلام هو التتابع والسرد على سبيل المجاز أخذًا من المعنى الحسي فى تتابع الإبل وسيرها إثرها فى إثر بعض)[٤].

---

١ – تفصيل ذلك في دلالة السياق ، د/ البركاوي، ص٢٢٨

٢ – أشار إلى ذلك في هامش ص٢٢٨

٣ – مغي اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري، ص١٧، تح/ د/ مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر – بيروت ، ط/ سادسة، ١٩٨٥م.

٤– الدلالة السياقية والمعجمية فى معلقة امرىء القيس، د/ عبد الفتاح أبو الفتوح،ص ١٥, مطبعة الأمانة– القاهرة, ١٩٩٥م .

وعرَّفه المحدثون بتعريفات عدَّة أذكر منها على سبيل المثال بأنَّ السياق هو: المقام الذي يصاحب الكلام، أو القصة، أو الظرف الخارجي الذي يمكن فهم الكلام على ضوئها، مضافًا إلى ذلك ما يستفاد من المقال[١].

- **دور السياق في تحديد المعنى:**

أشار عبد القاهر الجرجاني إلى دور السياق في تحديد المعنى بقوله: "إنَّ الألفاظ المفردة التى هى أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينها فوائد"[٢]. والسياق نوعان: سياق لغوي (داخلي): وهو المستفاد من عناصر مقالية داخل النص، وسياق غير لغوي (خارجي): وهو المستفاد من العناصر غير اللغوية التي تصاحب النص[٣].

ولا شك أنَّ للسياق الدور الرئيس في تحديد معاني الأدوات؛ لما تحمله الأدوات من معانٍ مزدوجة – أي معانٍ متعددة – ، فالأداة (هي التي يستخدمها المتكلم لإحكام دلالة الجملة، وإتمام إفادتها، حتى يُطابق الكلام مقتضى الحال، وللربط بين الأسماء والأفعال والجُمل، من أجل إنشاء الأسلوب، ومن ثمَّ تكتسب الأداة معناها من السياق)[٤].

---

١ – تفصيل ذلك في دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث ، د/ البركاوي، ص٢٦.

٢– دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص ٣٩١، تح/ د/ محمد التنجي، دار الكتاب العربى– بيروت، ط/ أولى، ١٩٩٥م.

٣ – دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، ص٣٠

٤ – في علم النحو العربي – رؤية جديدة وعرض نقدي – لصبري المتولي، ص٢٣٢، دار غريب – القاهرة ، ٢٠٠١م.

المبحث الأول

الأدوات الدالة على معنى الاستدراك في صحيح مسلم

في ضوء نظرية السياق

١ – الكلمة النحويَّة : " إلا ":

أصل " إلا " : (الاستثناء)[١]، هذا (معناها المشهور. وقد تكون بمعنى غير، وبمعنى الواو...، وعاطفة تشرك في الإعراب، لا في الحكم،...وزائدة)[٢]، والمهم في هذا المقام أن تكون بمعنى الاستثناء، نحو: قام القومُ إلا زيدًا، قام القوم إلا هذه.

والمستثنى إمَّا متصل، وإمَّا مُنقطع، (فالمتصل هو: المُخرَج من متعدد لفظًا, أو تقديرًا، بإلا وأخواتها)[٣]، والمراد بـ (المُخرَج تحقيقًا هو: المتصل، وبالمُخرج تقديرًا هو: المنقطع، نحو قوله تعالى:﴿ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ﴾ [4]، فإن الظنَّ وإن لم يدخل في العلم، فهو في تقدير الداخل فيه، إذ هو مستحضر بذكره؛ لقيامه مقامه في كثير من المواضع؛ ولذلك لم يحسن استثناء الأكل والشرب بعد العلم؛ إذ لا يُشْعِرُ بهما، بخلاف الظنّ[5](

---

١ – الأصول في النحو لابن السراج، ١/ ٢٨٥، تح/ د/ عبد الحسين الفتلى، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط/ ثالثة، ١٩٨٨م.

٢ – الجنى الداني، ص٥١٠

٣ – شرح الرضي على الكافية، ٢/ ٧٥

4 – سورة النساء: من الآية ١٥٧

5 – الجنى الداني، ص٥١١

والذي يهمنا في هذا المقام هو "الاستثناء المنقطع من الأول"، وهو ماكانت فيه ("إلا" في تأويل "لكن"...، وإنما ضارعت "إلا" "لكن"؛ لأن "لكن" للاستدراك بعد النفي، فأنت توجب بها للثاني مانفيتَ عن الأول، فمن هاهنا تشابها، تقول: ماقام أحدٌ إلا زيد، فزيد قد قام، ويفرق بينهما: أنَّ "لكن" لايجوز أن تدخل بعد واجب إلا لترك قصة إلى قصة تامة، نحو قولك: جاءني عبد الله لكن زيد لم يجيء، ولو قلت: مررت بعبد الله لكن عمرو لم يجز)[١].

ويختلف منهاج الاستثناء المنقطع عن منهاج الاستثناء الصحيح؛ لأن منهج الاستثناء الصحيح إنما هو: (أن يقع جمع يوهم أن كل جنسه داخل فيه، ويكون واحد منه، أو أكثر من ذلك لم يدخل فيما دخل فيه السائر بمستثنيه منه ليعرف أنه لم يدخل فيهم، نحو: جاءني القومُ إلا زيدًا، فإن قال: ماجاءني زيدٌ إلا عمرًا، فلا يجوز التأويل إلا على معنى "لكن")[٢].

وعليه ففي الاستثناء المنقطع لابد وأن يكون الكلام السابق على "إلا" قد دلَّ على مايستثنى منه[٣].

---

١ – الأصول في النحو، ١/ ٢٩٠

٢ – السابق ، ١/ ٢٩٠، ٢٩١

٣ – تفصيل ذلك في الأصول في النحو لابن السراج، ١/ ٢٩١

وفيما يلي بيان مواضع "إلا" في الاستثناء المنقطع في صحيح مسلم.

الموضع الأول:- ماجاء في باب "أمور الإسلام":

جزء من نص الحديث:

عن طلحة بن عبيد الله[1] – رضي الله عنه – قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ...فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : ("خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ". فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُنَّ؟ قَالَ: " لَا إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ"...)[2]الحديث .

المعنى العام للحديث:-

سمع طلحة بن عبيد الله راوي الحديث، ومن معه من الصحابة دوي الصوت، وجلبة الرجل القادم، ولم يتبيَّنوا مايقول، حتي دنا منهم، وهو يردد: أين محمد؟ أريد أن يدلني على شرائع الإسلام وتعاليمه، فجلس مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأخبره أنه يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا

---

[1] – طلحة هو: طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة أبو محمد القرشي التيميّ، وأمه الصعبة بنت عبد الله بن مالك الحضرميَّة، يُعرف بطلحة الخير، وطلحة الفياض، وهو من السابقين الأولين إلى الإسلام، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد أصحاب الشورى، وقُتِلَ طلحة يوم الجمل، وكان عمره ستين سنة، وقيل: اثنتان وستون، وقيل: أربع وستون سنة. اعتمدت في هذه الترجمة على كتاب أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، ص٥٩٥، ٥٩٦، باب الطاء واللام، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، ط/ أولى، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م.

[2] – صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج النيسابوري، ١/ ٣١، كتاب الإيمان، باب بيان الصوات التي هي أحد أركان الإسلام ، دار الجيل، دار الآفاق الجديدة – بيروت.

رسول الله، وقال له: أحبُّ أن أعلم منك ماذا يجب عليّ من الصلوات؟ فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : خمس صلواتٍ في كل يومٍ وليلةٍ. فقال له الرجلُ: هل عليّ غيرها؟ فقال صلى الله عليه وسلم: ليس عليك غيرها[١].

الشاهد من الحديث:-

قوله صلى الله عليه وسلم: (لَا إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ").

المعنى السياقي :

وقع خلاف بين الفقهاء بإلزام ووجوب إتمام صلاة التطوع بالشروع فيها على كون الاستثناء في الحديث هنا متصلًا، وبين استحباب الإتمام لا وجوبه على كون الاستثناء هنا منقطعًا ، فاستدلَّ (الحنفيَّة والمالكيَّة بالحديث على أنَّ الشروع بالتطوُّع يوجب إتمامه، تمسكًا بأن الأصل في الاستثناء أن يكون متصلًا)[٢]، واستدلوا به (على أنَّ من شرع في صلاة نفلٍ، أو صوم نفلٍ، وجب عليه إتمامه)[٣].

والصحيح أن الاستثناء في الحديث هنا منقطعٌ لا متصلٌ لعدة قرائن:-

الأولى: أن الاستثناء هنا من غير الجنس، بدليل سياق الحديث الشريف، فالنبي – صلى الله عليه وسلم– لم يقل له في التطوع: "عليك " أي: عليك

---

١ – فتح المنعم شرح صحيح مسلم ، د/ موسى شاهين لاشين، ١/ ٣٤، ٣٥، كتاب الإيمان، دار الشروق – القاهرة، ط/ أولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

٢ – السابق، ١/ ٣٦

٣ – شرح النووي على صحيح مسلم للإمام النووي، ١/ ١٦٧، باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط/ ثانية، ١٣٩٢هـ .

أن تطَّوع، والتي تُفهم الفرضيَّة والوجوب، والتطوع ليس من جنس الفرض، بل لكل منهما حكمه ووقته.

الثانية: ما روي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه كان أحيانًا ينوي صوم التطوع ثم يفطر، يقول الإمام ابن حجر: (وحرف المسألة دائر على الاستثناء، فمن قال أنه متصل تمسَّك بالأصل، ومن قال أنه منقطع احتاج إلى دليل، والدليل عليه ماروي عن النسائي وغيره أنَّ النبي – صلى الله عليه وسلم – كان أحيانًا ينوي صوم التطوع ، ثم يفطر، وفي البخاري أنه – صلى الله عليه وسلم – أمر جويرية بنت الحارث أن تفطر يوم الجمعة بعد أن شرعت فيه[1]، فدلَّ على أنَّ الشروع في العبادة لا يستلزم الإتمام إذا كانت نافلة بهذا النصِّ في الصوم، والقياس في الباقي)[2]. وقد نص الإمام النووي عن الاستثناء هنا بأنه منقطع فقال: (استثناء منقطع، ومعناه: لكن يُستحبُّ لك أن تطَّوَّع...، ومذهبنا أنه يستحب الإتمام، ولا يجب والله أعلم)[3].

وعليه يكون معنى الكلمة النحويَّة " إلَّا " هنا : "لكن"، ويكون المعنى السياقي للاستثناء هنا : ليس عليك صلوات واجبة غير الصلوات الخمس المفروضة، لكن لك أن تطَّوَّع بما تشاء من صلاة.

---

[1] – صحيح البخاري ، ٧/ ١٠٦ ، تشرف بخدمته والعناية به محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، ط/ أولى ١٤٢٢هـ .

[2] – فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، ١/ ١٠٧، باب زيادة الإيمان ونقصانه، تح/ ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ .

[3] – شرح النووي على صحيح مسلم، ١/ ١٦٧

الموضع الثاني: ماجاء في باب بيان أنَّ الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا وأنَّه يأرز[١] بين المسجدين:

نص الحديث:

عن حذيفة[٢] قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ – يَقُولُ: " تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا. فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ. وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ. حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضِ مِثْلَ الصَّفَا. فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَادَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ. وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا، كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يَنْكِرُ مُنْكَرًا . إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ"[٣].

---

١ – معنى يأرز: ينضمُّ إليه ويجتمع بعضه إلى بعض فيها، تهذيب اللغة للأزهري، ٤/ ٣٧٦، تح/ عبد السلام هارون، راجعه/ محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، الدار القومية العربية للطباعة، ١٣٨٤هـ ، ١٩٦٤م.

٢ – حُذيفة هو: حذيفة بن اليمان، وهو حذيفة بن حِسْل، ويقال: حُسَيْل بن جابر بن عمرو بن قُطَيْعَة بن عبس أبو عبد الله العبسي، ولُقِّبَ باليمان؛ لأنه أصاب دمًا في قومه فهرب إلى المدينة، وحالف بني عبد الأشهل من الأنصار، فسماه قومه "اليمان"؛ لأنه حالف الأنصار، وهم من اليمن، روى عنه أبو عبيدة، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وغيرهم، هاجر إلى النبي – صلى الله عليه وسلم– ، فخيَّره بين الهجرة والنصرة، فاختار النصرة، وشهد مع النبي – صلى الله عليه وسلم – أُحُدًا، وقُتِلَ أبوه بها ، وهو صاحب سرّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في المنافقين، وكان موته بعد قتل عثمان – رضي الله عنه – ، بأربعين ليلة، سنة ست وثلاثين. أسد الغابة ، باب الحاء والذال المعجمة، ص ٢٦٠، ٢٦١.

٣ – صحيح مسلم، ١/ ٨٩

المعنى العام للحديث:

يبين لنا النبي – صلى الله عليه وسلم – في هذا الحديث أن الفتن تُعرَض على القلوب فتنة فتنة، كما يعرض ناسج الحصير على الخيط عودًا عودًا، فكل قلبٍ يقبلها يُنقط فيه نقطة سوداء، حتى يتحوَّل نوره إلى ظلام، وكل قلبٍ ينكرها يزداد نورًا على نور، حتى يُصبح الناس أمام الفتنة أحد رجلين: رجلٌ قلبه بياضٌ ناصعٌ كالحجر الأملس الذي لايقبل الشر، ورجلٌ قلبه أسود لايبصر ولا يعقل، مربادًا أي: يخالط بياضه سواده، أو يختلط سواده بكدرة، حتى يصير كالكوز المنكوس مائلًا مقلوبًا، لا يعلق به ماء، كذلك هذا القلب لا يعلق به خيرٌ ولا حكمة، ولا ينصاع إلى معروف، ولا يرفض منكرًا[1].

الشاهد من الحديث:

قوله صلى الله عليه وسلم: "إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ".

المعنى السياقي :

الاستثناء هنا: منقطع، والكلمة النحويَّة "إِلَّا " بمعنى الكلمة النحويَّة "لكن" ، والمعنى: لكن يتبع هواه الذي تمكَّن منه[2]. أي: (فيتبعه طبعًا من غير ملاحظة كونه معروفًا أو منكرًا شرعًا، فلا يعرف ذلك القلب إلا ماقيل من الاعتقادات الفاسدة، والشهوات النفسانيَّة، ولَعلَّه – صلى الله عليه وسلم – أراد من باب تأكيد الذم في ذلك الاستدراك بقوله: "إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ"،

---

١ – فتح المنعم شرح صحيح مسلم، ١/ ٤٥٩، ٤٦١

٢ – السابق، ١/ ٤٦١

بما يُشبه المدح، أي: ليس فيه خيرٌ البتة إلا هذا، وهذا ليس بخير، فيلزم منه أن لا يكون فيه خير)[١].

الموضع الثالث: الكلمة النحوية " إلا " مصحوبة بالكلمة النحوية "أنْ " في الاستثناء المنقطع أيضًا، وذلك ماجاء في باب استخلاف الإمام إذا عرض له عُذر:

جزء من نص الحديث:

عَنْ عَائِشَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهَا – زَوْجِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَتْ: (... لَقَدْ رَاجَعْتَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي ذَلِكَ وَمَا حَمَلَنِي عَلَى كَثْرَةِ مُرَاجَعَتِهِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ فِي قَلْبِي أَنْ يُحِبَّ النَّاسُ بَعْدَهُ رَجُلًا قَامَ مَقَامَهُ أَبَدًا وَإِلَّا أَنِّي كُنْتُ أَرَى أَنَّهُ لَنْ يَقُومَ مَقَامَهُ أَحَدٌ إِلَّا تَشَاءَمَ النَّاسُ بِهِ فَأَرَدْتُ أَنْ يَعْدِلَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَنْ أَبِي بَكْرٍ)[٢].

المعنى العام للحديث:

لما اشتدَّ المرض على النبي – صلى الله عليه وسلَّم – وبلغ المرض الذي مات فيه، استأذن النبي الكريم – صلى اله عليه وسلم – زوجاته في أن يُمرَّض في بيت عائشة هذه الفترة، وكان بيت السيدة عائشة بينه وبين المسجد ستارة، ولما شقَّ على النبي – صلى الله عليه وسلم – أن يؤُمّ الناس في الصلاة، وهم عكوفٌ في المسجد ينتظرونه، وأصابه الإغماء المتكرّر، وتيقَن أنَّه لا يجد في نفسه ما يعينه على إمامة الناس، فأمر – صلى الله

---

١ – مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للملا علي القاري – نــور الدين علي بن سلطان محمد القاري، ٨/ ٣٣٧٧، دار الفكر، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠٢م.

٢ – صحيح مسلم، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر، ٢/ ٢٢

عليه وسلم – أن يقوم أبو بكر بالإمامة بدلًا منه، وأشفقت السيدة عائشة على أبيها أن يتشاءم النَّاس منه إن هو قام مقام رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، وخافت على أبيها كراهيّة النَّاس له إذا ارتبطت إمامته بمرض من يحبُّون أو بموته[1].

الشاهد من الحديث:

قول السيدة عائشة – رضي الله عنها – : (وَإِلَّا أَنِّي كُنْتُ أَرَى أَنَّهُ لَنْ يَقُومَ مَقَامَهُ أَحَدٌ إِلَّا تَشَاءَمَ النَّاسُ بِهِ) .

المعنى السياقي :

جاءت (إلا أن) هنا (استثناءً منقطعًا، حيث تركتْ السيدة عائشة أمر مراجعتها للنبي – صلى الله عليه وسلم – لتُبيّن أمرًا جديدًا، وهو سبب هذه المراجعة، وكأنها استدركت على أمر المراجعة هذه لتبيّن سببها، حتى لا يظنّ أحدٌ أنها راجعته – صلى الله عليه وسلم – مخالفةً له؛ لقوله – صلى لله عليه وسلَّم – في الحديث نفسه تعليقًا واعتراضًا منه على هذه المراجعة، خاصةً وأنَّ السيدة عائشة بعد أن راجعت النبي – صلى الله عليه وسلم – عدة مرَّات، طلبت من السيدة حفصة – رضي الله عنها – أن تعاونها في ذلك، وتراجع هي الأُخرى النبي – صلى الله عليه وسلم – في أمر إمامة أبي بكر بالناس، حتى غضِب النبي – صلى الله عليه وسلم – من طول المراجعة، فوجَّه اللوم لعائشة قائلًا: " إِنَّكُنَّ – مَعْشَرَ النِّسَاءِ – صَوَاحِبَ يُوسُفَ" ، أي: إنَّ طبائعكنَّ كطبائع زليخًا امرأة العزيز، تكثرن الإلحاح،

[1] – تفصيل الشرح في فتح المنعم شرح صحيح مسلم، ٢/ ٥٥٨ : ٥٦٠

وتبدين ما لا تخفين)[١]، هنا استدركتْ السيدة عائشة – رضي الله عنها – على أمر المراجعة هذه لتُبيّن سببها، وهو: أولًا- أنَّها خافت من تشاؤم الناس من أبي بكر؛ لأنَّ إمامته ستكون في ذاكرة المسلمين مرتبطة بمرض النبي – صلى الله عليه وسلم – وموته. ثانيًا: (أنَّها علمت أنَ النَّاس قد علموا أنَّ أبا بكرٍ يصلح لخلافة رسول الله – صلى الله عليه وسلَّم – بخلاف غيره)[٢]. وعليه يكون المعنى السياقي : لم أكن أراجعه مخالفةً لأمره- صلى الله عليه وسلَّم – ولكني خشيتُ أن يتشاءم الناس من إمامة أبي بكرٍ لهم. و(**سياق حال** زوجات النبي – صلى الله عليه وسلم –) هي الدالة على أنَّ المقصود هنا الاستدراك، فلم يكن من حال زوجات النبي الكريمات – رضي الله عنهنَّ – ان يعصينه في أمرٍ، أو يراجعنه فيه، وهنَّ يعلمْن أنه لا ينطق عن الهوى؛ لذا استدركت السيدة عائشة لتلفت النظر إلى أنَّ المقصود ليس هو المراجعة فيما يأمر به – صلى الله عليه وسلَّم –، أو عدم الانقياد لأمره من أوَّل وهلة، وإنَّما لأمرٍ آخر يجول بخاطرها.

٢ – الكلمة النحويَّة : "بَيْدَ" :

وفي " بيد " لغة (مَيْدَ بالميم، وهو اسم ملازم للإضافة إلى أن وصلتها، وله معنيان ، أحدهما : "غير" إلا أنَّه لا يقع مرفوعًا ولا مجرورًا بل منصوبًا، ولا يقع صفةً ولا استثناءً متصلًا، وإنَّما يُستثنى به في الانقطاع خاصة)[٣]. والاستثناء المنقطع هو: (الإخراج بـ "إلا" أو "غير" أو "بيد"، لما دخل في

---

١ السابق، ٢/ ٥٥٩

٢ – كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي، ١١٩٩/١، تح/ علي حسين البواب، دار الوطن – الرياض، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م.

٣ – مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام، ص١٥٥

دلالة المفهوم)[١]. والمعنى الثاني لـ "بيد" : (أن تكون بمعنى "من أجل"، ومنه الحديث : " أَنَا أَفْصَحُ مَنْ نَطَقَ بِالضَّادِ بَيْدَ أَنِّي مِنْ قُرَيْشٍ وَاسْتُرْضِعْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ"[٢])[٣] على خلافٍ بين النحاة في كونها بمعنى "من أجل" , أو "غير".

والكلمة النحويَّة " بيد " اسم (تدخل تركيبًا شبه استثنائي، تقول: أَحْمَدُ جَوَّادٌ بَيْدَ أَنَّهُ جَبَانٌ ، وتكون "بَيْدَ" منصوبة دائمًا على الاستثناء المنقطع، ... ومعناها هنا يشبه الاستدراك، ودفع التوهُّم كتراكيب الاستثناء المنقطع)[٤]. وذكر الصبَّان في حاشيته أنَّ المختار عند ابن مالك في "بَيْدَ" أنها حرف استثناء بمعنى "لكن". على خلافٍ بين النحاة في كونها اسمًا أو حرفًا. يتضح ممَّا سبق أنَّ "بَيْدَ" لا تقع إلا في الاستثناء المنقطع على معنى "لكن". وفيما يلي توضيح المعنى السياقي لـ "بَيْدَ" فيما وجدته من أمثلة في صحيح مسلم.

ما جاء في باب هداية هذه الأمَّة ليوم الجمعة:

نص الحديث:

أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– : "نَحْنُ الْآخِرُونَ وَنَحْنُ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْدَ أَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ أُوتِيَتْ

---

١ – اللمحة في شرح الملحة للصايغ، ١/ ٤٥٩

٢ – هذا الحديث لم أعثر عليه في كتب الأحاديث، ويقال عنه : أنه صحيح المعنى لكن لا أصل له.

٣ – مغني اللبيب، ص١٥٥

٤ – الموجز في قواعد اللغة العربية للأفغاني، ص ٣١٦، دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م.

الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ ثُمَّ هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْنَا هَدَانَا اللهُ لَهُ فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ الْيَهُودُ غَدًا وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ"[١].

المعنى العام للحديث:

يُخبر النبي الكريم – صلى الله عليه وسلَّم – عن أمَّته بأنَّنا (الآخرون في الزمان والوجود، السابقون بالفضل، ودخول الجنة، فتدخل هذه الأمَّة الجنَّة قبل سائر الأُمم)[٢].

الشاهد من الحديث:

قول النبي الكريم – صلَّى الله عليه وسلَّم – : " بَيْدَ أَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ أُوتِيَتْ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ ".

المعنى السياقي :

الكلمة النحويَّة "بَيْدَ" هنا بمعنى الكلمة النحويَّة "غير"، وتُستعمل في الاستثناء المنقطع، ولا يقبل السياق أن تكون هنا بمعنى " من أجل " ؛ لأنَّه سيترتَّب عليه فسادٌ في المعنى. يقول بدر الدين العيني: (لأنَّ "بَيْدَ" إذا كان بمعنى " من أجل " يكون المعنى: نحن السابقون لأجل أنَّهم أوتوا الكتاب، وهذا ظاهر الفساد)[٣].

وعليه يكون الكلام هنا بمنزلة الاستدراك، ويكون المعنى – والله أعلى وأعلم– : نحن الآخرون في الوجود زمانًا، السابقون بالفضل، وقبول الطاعة

---

١ – صحيح مسلم، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، ٦/٣

٢ – شرح النووي على مسلم، كتاب الجمعة، ٦/ ١٤٢

٣ – عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني، باب فرض الجمعة، ٩/ ٤٩٤، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

والعبادة، ودخول الجنَّة يوم القيامة، ولكنهم مع ذلك قد أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم. وقد استدلَّ ابن هشام في الاستثناء المنقطع بهذا الحديث، عند حديثه عن "بَيْدَ"، فقال: (وإنَّما يستثنى به في الانقطاع خاصَّة، ومنه الحديث: " نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا ")[١]. يقول الدماميني: (ويكون التقدير: إلا أنَّ كل أمَّةٍ أوتوا الكتاب من قبلنا على معنى "لكن" ؛ لأن معنى "إلا" مفهومٌ منها).[٢]

٣- الكلمة النحويَّة: (غير) مصحوبة بالكلمة النحويَّة "أنَّ":

"غير" أصلها : (أن تكون صفة دالة على مخالفة موصوفها لحقيقة ما أضيفت إليه، وقد تضمن معنى "إلَّا" فيستثنى بها)[٣]. وتأتي في الاستثناء المنقطع، وهو: الإخراج بغير، أو بَيْدَ، لما دخل في حكم دلالة المفهوم[٤] ، بمعنى أنَه مُخرجٌ للاستثناء المتصل، فإنَّه إخراجٌ لما دخل في دلالة المنطوق[٥].

وعليه فالكلمة النحويَّة "غير" : صفة، تفيد مغايرة مابعدها لموصوفها ، ولما (كانت ماهية المستثنى هو: المغايرة لما قبل أداة الاستثناء نيَّةً وإثباتًا، واجتمع ما بعد "غير"، وما بعد أداة الاستثناء في معنى المغايرة لما قبلها،

---

١ – مغني اللبيب ، ص١٥٥

٢ – شرح الدماميني على مغني اللبيب للدماميني، ١/ ٤٢٢، صححه وعلق عليه أحمد عزو عناية، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ط/ أولى، ١٤٢٨هـ ، ٢٠٠٧م.

٣ – توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك للمرادي، ٢/ ٦٧٦، شرح وتحقيق/ عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط/ أولى، ١٤٢٨هـ ، ٢٠٠٨م.

٤ – اللمحة في شرح الملحة لمحمد الصايغ، ١/ ٤٥٩

٥ – السابق، ١/ ٤٦٠

حُمِلَتْ أُمُ أدوات الاستثناء أي: "إلّا" في بعض المواضع على "غير" في الصفة، وحُمِلَتْ "غير" على "إلَّا" في الاستثناء في بعض المواضع)[١].

وبالتالي تشترك "غير" مع أدوات الاستدراك في مفهوم مغايرة حكم ماقبلها لما بعدها. **وفيما يلي بيان مواضع "غير أنَّ" في سياق الحديث الشريف في صحيح مسلم :**

الموضع الأول: ماجاء في باب رؤية الله – تعالى – في الآخرة:

جزء من نص الحديث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – أَنَّ رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ: (... وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُسُلُ. وَدَعْوَى الرُّسُلُ يَوْمَئِذٍ : اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ. وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ. هَلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدَانَ؟ قَالُوا: نَعَمْ يَارَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلَّا اللهُ)[٢].

المعنى العام للحديث:

كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يُذَكِّرُ أصحابه باليوم الآخر، وما يقع فيه من الأهوال، وأخبرهم بأنهم سيُعرضون على ربهم، ويرونه كما يرون القمر في الليلة المقمرة التي يسطع بدرها في السماء، ثم أخذ يُحدِّثهم عن هذه الرؤية، وعن ظروفها، ووقتها، وعمَّا سيحدث من أهوال

---

١ – تفصيل ذلك في شرح الرضي على الكافية للاستراباذي، ٢/ ١٢٦.

٢ – الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم للحميدي، (المتفق عليه من مسند أبي هريرة)، ٢/ ٣٧، تح/ علي حسين البواب، دار ابن حزم – لبنان – بيروت، ط/ ثانية، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٢م.

يوم القيامة، وأنَّ الصراط سيُنصب على شاطيء جهنَم، جسرٌ ممدودٌ، أدق من الشعرة، وأحد من السيف، على جانبيْه كلاليب وخطاطيف ذات أسهم من كلِّ جانب، تشبه شوكة السعدان التي تلصق بأصواف الغنم[١].

الشاهد من الحديث:

قوله – صلى الله عليه وسلم – : (غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلَّا اللهُ).

المعنى السياقي :

استدراك من النبي – صلى الله عليه وسلَّم –، حيث أراد أن يُخبر المستمعين عن وصف هيئة الكلاليب التي على جسر الصراط، وأنها في هيئتها وشكلها تشبه شوك السعدان، ثم استدرك على معنى: وإن كنتم تعلمون وصفه، وشكله، ومدى الألم الناتج عن شوكته، لكنكم لا تعلمون ما هو قدرعِظَم تلك الكلاليب والخطاطيف، وإن تشابهت في الشكل والهيئة مع شوك السعدان الذي تعلمونه، لكنه شتان بين هذا وذاك، الله وحده هو الذي يعلم ما مقدار عظمها وقوة فتكها، ويقول الدكتورلاشين في شرحه لهذه الجملة: (وهذه الجملة استدراك على تشبيه الكلاليب بشوك السعدان؛ للإشارة إلى أنَّ التشبيه لم يقع في مقدارهما)[٢].

---

١ – فتح المنعم شرح صحيح مسلم، ١/ ٥٩٩، ٦٠٠

٢ – السابق، ١/ ٦٠٥

الموضع الثاني: ماجاء في نفس الباب السابق في خروج عصاة المؤمنين من النَّار، وإثبات الشفاعة، وآخر أهل الجنَّة دخولًا الجنَّة:

جزء من نص الحديث:

عَنْ يَزِيدِ الْفَقِيرِ[١] قَالَ: كُنْتُ قَدْ شَغَفَنِي رَأْيٌ مِنْ رَأْيِ الْخَوَارِجِ،فَخَرَجَنَا فِي عِصَابَةٍ ذَوِي عَدَدٍ نُرِيدُ أَنْ نَحُجَّ. ثُمَّ نَخْرُجُ عَلَى النَّاسِ. قَالَ فَمَرَرْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ فَإِذَا جَابِرُ بْنِ عَبْدِ اللهِ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ – جَالِسٌ إِلَى سَارِيَةٍ – عَنْ رَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ: فَإِذَا هُوَ قَدْ ذَكَرَ الْجَهَنَّمِيِّينَ، قَالَ: فَقُلْتُ يَاصَاحِبَ رَسُولِ اللهِ! مَاهَذَا الَّذِي تُحَدِّثُونَ؟ وَاللهُ يَقُولُ: ﴿ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ﴾ [2]، و﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [3]فَمَا هَذَا الَّذِي تَقُولُونَ؟ قَالَ: فَقَالَ: أَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَهَلْ سَمِعْتَ بِمَقَامِ مُحَمَّدٍ – عَلَيْهِ السَّلَامِ – (يَعْنِي الَّذِي يَبْعَثُهُ اللهُ فِيهِ؟) قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَإِنَّهُ مَقَامُ مُحَمَّدٍ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – الْمَحْمُودُ الَّذِي يُخْرِجُ اللهُ بِهِ مَنْ يُخْرِجُ. قَالَ: ثُمَّ نَعَتَ وَضْعَ الصِّرَاطِ وَمَرَّ النَّاسِ عَلَيْهِ. قَالَ: وَأَخَافُ أَنْ لَا أَكُونَ أَحْفَظُ ذَاكَ. قَالَ: غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ زَعَمَ أَنَّ قَوْمًا يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ بَعْدَ أَنْ يَكُونُوا فِيهَا .....)[٤] الحديث.

---

١ – يزيد الفقير هو: يزيد بن صهيب الفقير، يكنى بأبي عثمان الكوفي، وهو ثقةٌ مقلٌّ. اعتمدت في هذه الترجمة على كتاب تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني، ص ١٠٨٥، تح/ أبو الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني، دار العاصمة.

2 – سورة آل عمران : من الآية ١٩٢

3 – سورة السجدة : من الآية ٢٠

٤ – صحيح مسلم، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، ١/ ١٢٣

المعنى العام للحديث:

يروي يزيد أنَّه قد شغف قلبه رأي الخوارج ، وهو أنَّ أصحاب الكبائر يُخلَّدون في النَّار، ولا يخرُجُ منها من دخلها، فخرج في جماعةٍ كبيرةٍ من النَّاس يريدون الحجّ، ثمَّ بعد ذلك يخرجون على النَّاس يُظهرون لهم مذهب الخوارج، ويدعون إليه، ويحثُّون عليه، فإذا هو قد رأى جابر بن عبد الله يُحدِّثُ القوم عن أهل جهنَّم، وهو جالس، مسنِدًا ظهره إلى عمودٍ من سواري المسجد، ثمَّ وصف الصِّراط، وأحوال مرور الناس عليه. يقول يزيد: أنَّه يخاف أن لا يكون قد حفظ ماقاله جابر، فرواه بالمضمون، مخافة الخطأ، وعدم الحفظ[1].

الشاهد من الحديث:

قول يزيد: غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ زَعَمَ أَنَّ قَوْمًا يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ بَعْدَ أَنْ يَكُونُوا فِيهَا

المعنى السياقي :

هنا يأتي استدراك يزيد؛ لأنَّه وجد في حديث جابر ما ينافي ويُخالف توهمه، واعتقاده، في مسألة خلود أهل الكبائر في النَّار، وعدم خروجهم منها. وعليه يكون المعنى السياقي: لكنَّ جابرًا قد زعم أنَّ قومًا يخرجون من النَّار بعد أن دخلوها ، وهذا مخالف لاعتقادي، وفهمي، بدلالة ماذكرته من آي الذكر الحكيم، التي تُشير إلى أنَّ من دخل النَّار، فقد أخزاه الله، وأنَّ من دخل النَّار كلَّما خرج منها رُدَّ إليها، ولا مفرّ. فهذه (العصابة جاءوا إلى الحجّ، وقد ابتُلوا بفهمٍ خاطيءٍ، وهو أنَّ أصحاب الكبائر لا يخرجون من النَّار، وحملوا

[1] – فتح المنعم شرح صحيح مسلم، ١/ ٦١٤، ٦١٥

الآيات التي وردتْ في الكفَّار على المسلمين أيضًا ، وهذا من عقيدة الخوارج ، وقد أرادت هذه العصابة أن تَظهر على النَّاس بهذه العقيدة الباطلة بعد الحجّ, لكن في هذه الرحلة الميمونة وفَّقهم الله للالتقاء بجابر بن عبد الله الأنصاريّ – رضي الله عنهما –، فأوضح لهم فساد فهمهم، فعدلوا عمَّا كانوا عزموا عليه، ولم يخرج منهم بهذا الباطل إلَّا واحدٌ منهم).[1]

الموضع الثالث: ماجاء في باب النهي عن بناء المساجد على القبور:

عَنْ عَائِشَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهَا – قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي مَرَضِهِ الَّذِي لَمْ يَقُمْ مِنْهُ : ("لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ". قَالَتْ: فَلَوْلَا ذَاكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا)[٢].

المعنى العام للحديث:

كانت السيدة عائشة – رضي الله عنها – هي التي مَرَّضَتِ النبي – صلى الله عليه وسلم – في مرضه الذي مات فيه، وهي الحاضرة وقت قبض روحه الكريم – صلى الله عليه وسلم– فذكرت أنَّه في هذا المرض الذي لم يقم منه، خشيَ أن يُتَّخَذَ قبره مسجدًا، يُصَلَّى عنده، فتجرُّ الحال إلى عبادته

---

[1] – شرح حديث جبريل في تعليم الدين لعبد المحسن بن حمد العبَّاد البدر، ٥/١، ترجمة وتحقيق حافظ زبير علي زقي، مكتبة إسلاميَّة.

[٢] – صحيح مسلم، باب النهي عن بناء المساجد على القبور، ٢/ ٦٧

من دون الله تعالى، فحذَّر من عمل اليهود والنَصارى وعلِمَ الصحابة – رضي الله عنهم – مراده، فجعلوه في داخل حجرة السيدة عائشة[١].

الشاهد من الحديث:

قول السيدة عائشة – رضي الله عنها – : " غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا "

المعنى السياقي :

في سياق الحديث هنا تستدرك السيدة عائشة – رضي الله عنها وأرضاها – من ظهور قبر النبي الكريم – صلى الله عليه وسلَّم – ماقد يتوهَّمه المسلمون فيما بعد من اتخاذ هذا القبرمسجدًا، واتباعًا لحال اليهود والنَّصارى الذين دعا عليهم النبيّ – صلى الله عليه وسلّم – باللعن؛ لاتخاذهم قبور أنبيائهم مساجـد، فخافت من مبالغة المسلمين في شأن هذا القبر، من (تعظيمه، والافتتان به، فربَّما أدَّى ذلك إلى الكفر كما جرى لكثيرٍ من الأمم الخالية)[٢]، فصار مُحاطًا بحصونٍ منيعةٍ، وهي أنَّ مدفنه – صلى الله عليه وسلّم – في حجرة السيدة عائشة، وأحيط بصاحبيه أبي بكرٍ وعمر – رضي الله عنهما – كما بنى المسلمون حول القبر فيما بعد حيطانًا مرتفعة مستديرة؛ لئلا يظهر المسجد فيصلي إليه العوام، ويقع المحذور، ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين، وحرَّفوهما، حتى التقيا حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر[٣].

---

١ – تفصيل ذلك في كتاب تيسير العلام شرح عمدة الحكام للبسام، باب في تحريم التسخُّط بالفعل والقـول، ١/ ٢٦٧

٢ – شرح النووي على مسلم، باب النهي عن بناء المسجد على القبور، ٥/ ١٤

٣ – السابق نفسه.

فالحال الشائعة بين اليهود والنَّصارى، هي التي جعلت السيدة عائشة تتنبَّهتْ إلى مايمكن وقوعه من المسلمين فيما بعد من توهُّمهم أنَّ هذا القبر صار مسجدًا، فيشدُّوا الرحال إليه، ويقع ما كان يكره النبيّ – صلى الله عليه وسلَّم – وقوعه، فجاء الاستدراك لرفع التوهُّم المتوقَّع من إبراز القبر.

٤ – الكلمة النحويَّة: " لولا " :

للكلمة النحويَّة "لولا" في الكلام موضعين:–

الموضع الأول: أن تكون تحضيضًا، نحو قوله تعالى:﴿ فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾ .[1]وتدخل على الماضي، وفيها معنى التوبيخ، نحو قوله تعالى:﴿ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةً ﴾ .[2]والموضع الثاني: أن تكون حرف امتناع، نحو: لولا عدم قيام زيدٍ لم أحسن إليك[٣]. وذهب الكوفي في كليَّاته[٤] أنَّها ترد للتنديم، نحو قوله تعالى:﴿ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ﴾ ,[5]وعلى مفهوم الاستدراك سأتحدث عن "لولا" في المثال التالي بمشيئته تعالى.

---

1 – سورة الواقعة : من الآية ٧٠

2 – سورة الأحقاف : من الآية ٢٨

٣ – تفصيل ذلك في رصف المباني، ص٢٩٢، ٢٩٣

٤ – الكليات للكفوي، فصل اللام، ص٧٨٩، تح/ عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م.

5 – سورة القصص : من الآية ٨٢

الموضع الأول: ماجاء في باب فضل الوضوء والصلاة عقبَه:

نص الحديث:

عَنْ عُرْوَةَ[1] أَنَّهُ قَالَ: (لَمَّا تَوَضَّأَ عُثْمَانُ قَالَ: وَاللهِ لَأُحَدِّثَنَّكُمْ حَدِيثًا وَاللهِ لَوْلَا آيَةٌ فِي كِتَابِ اللهِ مَاحَدَّثْتُكُمُوهُ. إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَقُولُ: "لَا يَتَوَضَّأُ رَجُلٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ ثُمَّ يُصَلِّي الصَّلَاةَ إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَابَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّلَاةِ الَّتِي تَلِيهَا". قَالَ عُرْوَةُ: الْآيَةُ:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [3].([2]

٥- المعنى العام للحديث:

في هذا الحدبث يُبيّن سيدنا عثمان بن عفَّان – رضي الله عنه – بعد أن توضَّأ فأحسن الوضوء أنَّ فضل الله واسعٌ، تفضَّل بالأجر الكبير على العمل الصغير، وأنَّه يعلم ثوابًا جزيلًا على عملٍ سهلٍ يسيرٍ، يخاف أن يبلِّغنا نبأه فنتكلَّم، ونتكاسل، ولا ننشط، ويخاف في الوقت ذاته إن لم يحدِّثنا بهذا الحديث أن يكون كاتمًا للعلم، يصدق عليه ما قاله الله في أهل الكتاب :

---

[1] – عروة هو : عروة بن الزبير بن العوام الأسدي أبو عبد الله المدنيّ، روى عن أبيه وأخيه عبد الله وعلي بن أبي طالب وابنيه الحسن والحسين، وزيد بن ثابت وسعيد بن زيد وعائشة وغيرهم، وروى عنه بنوه عبد الله ومحمد وعثمان وهشام ويحيى، وقال ابن عيينة: أعلم الناس بحديث عائشة ثلاثة: القاسم، وعروة، وعمرة بنت عبد الرحمن، وكان يصوم الدهر، مات سنة أربع وتسعين. اعتمدت في هذه الترجمة على كتاب إسعاف المبطأ برجال الموطأ للسيوطي، ص٢١، المكتبة التجاريَّة الكبرى – مصر، ١٣٨٩هـ ، ١٩٦٩م.

[2] – سورة البقرة : الآية ١٥٩

[3] – صحيح مسلم، باب فضل الوضوء والصلاة عقبه، ١/ ١٤٢

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾[1]

الشاهد من الحديث:

قول سيدنا عثمان – رضي الله عنه – : "لَوْلَا آيَةٌ فِي كِتَابِ اللهِ مَاحَدَّثْتُكُمُوهُ ."

المعنى السياقي:

في سياق هذا الحديث يريد سيدنا عثمان أن يُخبر الحضور بأمرٍ فيه ثواب عظيم، مع سهولة فعله، عَلِمَهُ عن رسول الله – صلى الله عليه وسلَّم – ، وكان يخشى أن يُخبر به مخافة أن يتَّكل عليه المسلمون، فيُقصِّروا في العبادة، ثم يستدرك قائلًا : ولكن الذي دفعني هو مخافة أن أندم يومًا على كتماني علمًا،ف (لولا آية تمنع من كتمان شيء من العلم ماحدَّثتكم به)[٢].

الموضع الثاني: ما جاء في باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة:

نص الحديث:

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ[٣] قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ: (" أَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ." ثُمَّ قَالَ: " أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللهِ " ثَلَاثًا. وَبَسَطَ يَدَهُ

---

1 – فتح المنعم، ٢/ ١١٨

٢ – شرح الزرقاني على موطَّأ الإمام مالك للزرقاني، ١/ ١٠٠، دار الكتب العلميّة – بيروت ، ١٤١١هـ .

٣ – أبي الدرداء: اسمه عُوَيْمِر ، فقيل :عُوَيْمِر بن عامر بن مالك بن زيد بن قيس، وقيل : اسمه عامر بن مالك ، وعُوَيْمِر لقب، وأمُّه محبَّة بنت واقد بن عمرو بن =

كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ قُلْنَا يَارَسُولَ اللهِ قَدْ سَمِعْنَاكَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ شَيْئًا لَمْ نَسْمَعْكَ تَقُولُهُ قَبْلَ ذَلِكَ وَرَأَيْنَاكَ بَسَطْتَ يَدَكَ. قَالَ: " إِنَّ عَدُوَّ اللهِ إِبْلِيسَ جَاءَ بِشِهَابٍ مِنْ نَارٍ لِيَجْعَلَهُ فِي وَجْهِي فَقُلْتُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ. ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ قُلْتُ: أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللهِ التَّامَّةِ فَلَمْ يَسْتَأْخِرْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ أَرَدْتُ أَخْذَهُ وَاللهِ لَوْلَا دَعْوَةُ أَخِينَا سُلَيْمَانَ لَأَصْبَحَ مُوثَقًا يَلْعَبُ بِهِ وِلْدَانُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ")[1].

المعنى العام للحديث:

في هذا الحديث يروي أبو الدرداء أنَّ النبيّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – وهو في أثناء الصلاة، سمعه المصلُّون وهو يقول: " أَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ." ، ثم سمعوه مرةً أخرى وهو يقول ثلاثًا: " أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللهِ "، ثم مدَّ يده، وكأنه يتناول بها شيئًا ، فلمَّا فرغ من صلاته سأله المصلُّون عن الذي سمعوه والذي رأوه منه – صلى الله عليه وسلم –فأخبرهم النبي – صلى الله عليه وسلم – أن إبليس جاءه بشعلةٍ من نارٍ ساطعةٍ، وجعلها في وجهه، فأراد النبي – صلى الله عليه وسلم – أن يأخذه ويربطه ، لولا مخافة أن يكون

=

الإطنابة، تأخَّر إسلامه قليلًا، وكان آخر أهل داره إسلامًا، وحسُن إسلامه، وكان فقيهًا عاقلًا حكيمًا، رُوِيَ عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: " عُوَيْمِرُ حَكِيمُ أُمَّتِي". شهد ما بعد أُحد من المشاهد، اختُلِف في سنة وفاته، والصحيح أنه مات في خلافة عثمان – رضي الله عنه – . اعتمدت في هذه الترجمة على كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر، ٢/ ٢٥.

[1] – صحيح مسلم، باب جواز لعن الشيطان أثناء الصلاة، ٢/ ٧٢

بذلك قد تعدَّى على اختصاص ملك سليمان، ولولا ذلك لأخذه وربطه بساريةٍ من سواري المسجد، حتى لعب به صغار الولدان من أهل المدينة[١].

الشاهد من الحديث:

قوله – صلى الله عليه وسلم – : " لَوْلَا دَعْوَةُ أَخِينَا سُلَيْمَانَ " .

المعنى السياقي:

هنا يُبيِّن النبي الكريم – صلى الله عليه وسلَّم – السبب الذي منعه من أن يجعل هذا الشيطان موثقًا ، وهو دفع التوهُّم من أحد أنه تعدَّى على اختصاص ملك سيدنا سليمان – عليه السلام– تقديرًا منه – صلى الله عليه وسلَّم – ؛ لاختصاصات ملك سيدنا سليمان[٢]، وتأدُبًا ، وأيضًا لئلَّا يتوهَّم أحد عدم استجابة دعوة سيدنا سليمان، حين دعا ربه قائلًا : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴾ [3]، و(من جملة ملكه تسخير الشياطين، وانقيادهم له)[٤].

ومن خلال سياق الحديث يتبيَّن أنَّ الكلمة النحويَّة "لولا" لم تأت لكونها حرف تحضيض وامتناع، وإنَّما أتت للدلالة على الاستدراك؛ لرفع توهُّم قد

---

١ – تفصيل ذلك في مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للمباركفوري، ٣/ ٣٩٢، إدارة البحوث العلميَّة والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفيَّة – بنارس الهند، ط/ ثالثة، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م .

٢ – تفصيل ذلك في مشكاة المصابيح للتبريزي، ٣/ ٧٧٥

3 – سورة ص : آية ٣٥

٤ – النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، ٢/ ٢٨٠، تح/ طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت ، ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م.

ينشأ لدى المخاطب أو السامع من فعل أمرٍ ما. وعليه فمعنى الحديث : ولكن دعوة النبي سليمان أن يهبه الله ملكا لاينبغي لأحد من بعده، والذي كان منه تسخير الشياطين لخدمته، لربطه سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – بسارية المسجد .

المبحث الثاني

الأدوات الدالة على معنى الإضراب في صحيح مسلم

في ضوء نظرية السياق

١- الكلمة النحويَّة: " أو " :

"أو " تأتي في الكلام على موضعين: الأول- أن يكون حرف عطف، وله في ذلك خمسة معاني: ١- أن يكون للتخيير، وذلك بعد الطلب، نحو: كُلْ سمكًا أو اشرب لبنًا. ٢- أن يكون للإباحة، وذلك بعد الطلب، نحو: جالس الحسن أو ابن سيرين. ٣- أن يكون للشك، وذلك بعد الخبر، نحو: ما أدري أزيدٌ قام أو عمرو. ٤- أن يكون للإبهام، وذلك في الخبر في حق السامع دون المخبر، نحو: زيدٌ قام أو عمرو. ٥- أن يكون للتفضيل، نحو: زيدٌ منطلقٌ أو عمرٌو شاخص . فأمَّا قوله تعالى:﴿ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾﴾[1]، فأو هنا للإضراب بمعنى "بل". كقول الشاعر:

بَدَتْ مِثْلَ قَرْنِ الشَّمْسِ فِي رَوْنَقِ الضُّحَى وَصُورَتِهَا أَوْ أَنْتِ فِي الْعَيْنِ أَمْلَحُ[٢]

أي: بل أنت في العين أملح.

---

[1] – سورة الصافات : آية ١٤٧

[٢] – البيت لذي الرمة في ملحقات ديوانه، ٣/ ١٨٥٧، اعتنى به وشرح غريبه عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط/ أولى، ١٤٢٧هـ ، ٢٠٠٦م. والبيت من البحر "الطويل"، نص على ذلك الزجاجي في كتابه حروف المعاني، ص٥٢، تح/ علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط/ أولى ، ١٩٨٤هـ .

والموضع الثاني: أن تكون ناصبة بإضمار "أن" فيكون معناها معنى "إلا" مع "أن"[١].

نستنتج مما سبق: أنَّ الإضراب من معاني "أو" التي تخرج إليها. وفيما يلي بيان المواضع التي وردت فيها "أو" بمعنى "بل" في سياق الحديث الشريف في صحيح مسلم.

الموضع الأول: ماجاء في باب تأليف ضعيف الإيمان:

جزء من نص الحديث:

عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ[٢] أَنَّ رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – "أَعْطَى رَهْطًا. وَسَعْدٌ جَالِسٌ فِيهِمْ. قَالَ سَعْدٌ: فَتَرَكَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُعْطِهِ. وَهُوَ أَعْجَبُهُمْ إِلَيَّ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ: مَالَكَ مِنْ فُلَانٍ؟ فَوَاللهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : أَوْ مُسْلِمًا..."[٣].

---

١ – تفصيل ذلك في كتاب رصف المباني في شرح حروف المعاني للإمام المالقي، من ص١٣١: ١٣٣، تح/ أحمد محمد الخرَّاط، مجمع اللغة العربية ، دمشق – حلب، ١٣٩٤هـ . ونص الصايغ في كتابه اللمحة في شرح الملحة بأن "أو" من معانيها الإضراب، ٢/ ٦٩٥.

٢ – عامر بن سعد بن أبي وقَّاص الزهريّ المدنيّ، روى عن أبيه، وعثمان، والعباس، وعائشة، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وجماعة أخرى، وروى عنه ابنه داوود وغيره، ومات سنة ست وتسعين، ويقال: سنة ثلاث ومائة. اعتمدتُ في هذه الترجمة على كتاب إسعاف المبطأ برجال الموطَّأ للإمام السيوطي، ص١٤، حرف "العين" ، المكتبة التجاريَّة الكبرى – مصر، ١٣٨٩هـ ، ١٩٦٩م.

٣ – صحيح مسلم، باب تألُّف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه، ١/ ٩١

المعنى العام للحديث:

كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يُقَسِّمُ مالًا ممَّا أفاء الله عليه، فأعطى عددًا من الرجال، وسعد بن أبي وقاص جالس معهم، ولم يُعط النبي – صلى الله عليه وسلم – من هو في اعتقاد سعد بن أبي وقاص أفضلهم، وأصلحهم، وأحبهم لدينه. فسأل سعدُ بن أبي وقَّاص النبي – صلى الله عليه وسلم – عن أي شيء حصل له حالة كونه مُعْرِضًا عن فلان، وهو مؤمن، فأجابه النبي – صلى الله عليه وسلم – بقوله: "أَوْ مُسْلِمًا" [١].

الشاهد من الحديث:

قوله – صلى الله عليه وسلم – : " أَوْ مُسْلِمًا".

المعنى السياقي :

الكلمة النحويَّة "أو" هنا بمعنى الكلمة النحويَّة "بل" للإضراب.يقول ابن حجر: ("أَوْ مُسْلِمًا" :هو بسكون الواو على معنى الإضراب)[٢]. وجوَّز البعض أن تكون "أو" هنا بمعنى التردد، أي: لا تقطع بأحدهما[٣].

والصحيح أنها للإضراب، ويؤيده ما جاء في رواية أخرى لابن الأعرابي[٤] لهذا الحديث ، حيث قال: (لَا تَقُلْ مُؤْمِنًا بَلْ مُسْلِمًا)[١]، فوضح هنا (أنها

---

١ – فتح المنعم شرح صحيح مسلم، ١/ ٤٧٥، ٤٧٦

٢ – فتح الباري، ١/ ٨٢

٣ – السابق نفسه.

٤ – ابن الأعرابي هو : أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم أبو سعيد بن الأعرابي مؤرخ من علماء الحديث، من أهل البصرة، وكان شيخ الحرم المكي، وتوفي بمكة، وهو غير ابن الأعرابي اللغوي، المتوفي قبل ولادة هذا بأعوام، توفي عام ٣٤٠هـ. اعتمدت في هذه الترجمة على كتاب الأعلام للزركلي، ١/ ٢٠٨، دار العلم للملايين، بيرت – لبنان، ط/ سابعة، ١٩٨٦م.

للإضراب، وليس معناه الإنكار، ونفي الإيمان، بل المعنى: أنَّ إطلاق المسلم على من لم يُختَبرحاله الخبرة الباطنة، أولى من إطلاق المؤمن؛ لأنَّ الإسلام معلومٌ بحكم الظاهر)[٢]، وعليه يكون المعنى السياقي للشاهد من الحيث – والله أعلى وأعلم – : (بل قل مسلمًا، ولا تقطع بإيمانه، فإنَّ حقيقة الإيمان، وباطن الخلق لا يعلمه إلا الله)[٣].

الموضع الثاني: ماجاء في فترة الوحي من رسول الله – صلى الله عليه وسلم –:

جزء من نص الحديث:

عَنْ يَحْيَى[٤] قَالَ: (سَأَلْتُ أَبَا سَلَمَةَ[٥]: أَيُّ الْقُرْآنِ أُنْزِلَ قَبْلُ؟ قَالَ: "يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ"، فَقُلْتُ:أَوِ:" اقْرَأْ" . فَقَالَ: سَأَلْتُ جَـابِرَ بْنِ عَبْدِ اللهِ[١]:أَيُّ الْقُرْآنِ أُنْزِلَ قَبْلُ؟ قَـالَ: "يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ". فَقُلْتُ: أَوِ: "اقْرَأْ"...)[٢].

=

١ – عون المعبود شرح سنن أبي داوود لمحمد آبادي أبو الطيب، ١٢/ ٢٨٧، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، دار الكتب العلمية – بيروت، ط/ ثانية، ١٤١٥هـ .

٢ – فتح المنعم، ١/ ٤٧٧

٣ – مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض المالكي، ١/ ٥٢، ٥٣، المكتبة العتيقة – دار التراث.

٤ – يحيى هو : يحيى بن أبي كثير أبو نصر اليمامي، رأى أنس بن مالك، وأبا سلمة، وعبد الله بن قتادة، مات سنة ١٣٢هـ ، وقيل: ١٢٩هـ . اعتمدت في هذه الترجمة على كتاب التاريخ الكبير للإمام البخاري، ٨/ ٣٠١، ٣٠٢، إعداد مصطفى عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان.

٥ – أبو سلمة هو: أبو سلمة بن عبد الرحمن الزهري القرشي وأمه تماضر بنت الأصبغ بن عدي بن كلب، وهي أول كلبيَّة تزوجها قرشيّ في الإسلام، وذاك أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعث عبد الرحمن بن عوف إلى كلبٍ وأمره أن يتزوج بنت =

المعنى العام للحديث:

يدور سياق الحديث الشريف عن سؤال يحيى بن أبي كثير عن أيُّ القرآن نزل أوَّلًا، فأُجيب عليه بأنَّ أول مانزل هو قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ"، إلَّا أنَّ يحيى قد أُنبِيءَ أنَّ أول مانزل هو قوله تعالى: :" اقْرَأْ".

الشاهد من الحديث:

قول يحيى : أَوِ:" اقْرَأْ".

المعنى السياقي :

الكلمة النحويَّة " أو " في سياق الحديث هنا بمعنى الكلمة النحويَّة : "بل"، ويؤيد هذا المعنى مايلي:

١- رُوِيَ هذا الحديث عن يحيى بلفظٍ آخر، جاء فيه : (سَأَلْتُ أَبَا سَلَمَةَ: أَيُّ الْقُرْآنِ أُنْزِلَ أَوَّلُ؟ فَقَالَ: "يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ". قَالَ: فَقُلْتُ إِنِّي أُنْبِئْتُ أَنَّ أَوَّلَ سُورَةٍ نَزَلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ: "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ" قَالَ

=

سيدهم، وكان الأصبغ سيدهم، فتزوج بابنته ، وكان مالك بن أنس يقول: أبو سلمة بن عبد الرحمن، اسمه كنيته، وكان من سادات قريش، وروى عنه الزهري، ومات سنة ١٠٤هـ ، وقيل سنة ٩٤هـ . اعتمدت في هذه الترجمة على كتاب الثقات لابن حبان، ٥/ ١، ٢، تح/ السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، ط/ أولى ١٣٩٥هـ ، ١٩٧٥م.

[١] – جابر هو: جابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي، شهد بدرًا، وأحد، والخندق، وسائر المشاهد مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، وهو أول من أسلم من الأنصار قبل العقبة الأولى، أسند عن النبي – صلى الله عليه وسلم – غير حديث، وروى عنه ابن عباس . اعتمدت في هذه الترجمة على كتاب أسد الغابة ، ص١٦٥

[٢] – صحيح مسلم، باب بدء الوحي إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، ١/ ١٣.

أَبُو سَلَمَة: سَأَلْتُ جَابِرَ بْنِ عَبْدِ اللهِ: أَيُّ الْقُرْآنِ أُنْزِلَ أَوَّلُ؟ قَالَ: "يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ". فَقُلْتُ إِنِّي أُنْبِئْتُ أَنَّ أَوَّلَ سُورَةٍ نَزَلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ: "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ"...)[1] الحديث.

وفي هذه الرواية دليلٌ على أن المعنى السياقي للحرف "أو" هنا هو: "بل"؛ لأن يحيى أوضح في هذه الرواية أنَّه أُعلِم من قبل أنَ أوَّل مانزل من القرآن هو قوله تعالى : " اقْرَأْ ".

٢- التفريق بين أول مانزل على النبي – صلى الله عليه وسلم – على الإطلاق، وبين أوَّل مانزل عليه – صلى الله عليه وسلم – بعد أن فَتَرَ عنه الوحي فترة، ويوضح ذلك ماروي عن السيدة عائشة – رضي الله عنها – أنَّ: أوَّل مانزل : "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ"[2]، وما روته السيدة عائشة – رضي الله عنها – صحيح؛ لاقتصاصها أول مابديء به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من الوحي، وأنَّ الملك فاجأه بغار حراء ، وقال له بعد ما غطَّه ثلاث مرات: "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ"، ثم فتر الوحي فترة عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى حزن النبي – صلى الله عليه وسلم – ، ثم تبدَّا له جبريل حتى سكن جأشه، فنزل قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ". وعليه تكون هذه الآية الكريمة أول مانزل بعد فترة الوحى، وأن قوله

---

[1] – مسند أبي يعلى لأبي يعلى التميمي(مسند جابر) ، ٣/ ٤٥٣، تح/ حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث – دمشق، ط/ أولى، ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م.

[2] – صحيح مسلم، باب بدء الوحي إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، ١/ ٩٧.

تعالى: "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ"، تصديق وتحقيق أنها أول مانزل على الإطلاق[١] والله أعلى وأعلم.

٣- أنَّ أوَّل سورة المدثِّر مقيَّدٌ بالإنذار : " قُمْ فَأَنْذِرْ "[٢] ؛ ولذلك دعا بعدها النبي – صلى الله عليه وسلم – بخلاف سورة العلق، فصدرها غير مقيد بشيء خاص. فكأنَّ سورة العلق كانت بمثابة تمهيد لما سيأتي للنبي – صلى الله عليه وسلم – من أمر أو تبليغ تالٍ، واستعداد منه لذلك. فقد جاء في رواية جابر بن عبد الله أنَ النبي – صلى الله عليه وسلم قال: " ثُمَّ فَتَرَ الْوَحْيُ عَنِّي فَتْرَةً فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ..."[٣] فيكون السياق محمول على أنه – صلوات الله وسلامه عليه – أول ما استقريء، وحُمل على التعلُّم كان بقوله تعالى: "اقْرَأْ" ،(فجرى ذلك مجرى التعليم والهداية إلى القراءة، فلمَّا وطَّن نفسه على ذلك، وربط للتبليغ جأشه أُنْزِل عليه: "يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ"، فأُمِرَ بالأوامر، وفُرضتْ عليه الفرائض، وخُوطِب بالشرائع)[٤].

---

١ – تفصيل ذلك في كتاب شرح الحديث المقتفى في مبعث النبي المصطفى لأبي شامة المقدسي، ص ١٩٧، تح/ جمال عزون، مكتبة العمرين العلمية – الشارقة/ الإمارات ، ط/ أولى١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩م.

٢ – سورة المدثر : آية ٢

٣ – صحيح مسلم، باب بدء الوحي إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، ١/ ٩٩ .

٤ – شرح الحديث المقتفى في مبعث النبي المصطفى، ص١٩٧.

نستنتج مما سبق أن كلام يحيى كان إضرابًا، وأنه أراد أن يُخبر بأن أوَّل مانزل من القرآن هو قوله تعالى: "اقْرَأْ"، بُناءً على ماعلمه عن النبي – صلى الله عليه وسلم – .

٤– بناءً على مانعلمه من نزول السور أن سورة "المدثر" أوَّل سورة نزلت بتمامها، قبل تمام نزول سورة "اقرأ"، فإنَّ أول مانزل من سورة " اقرأ " صدرها، يقول ابن عاشور في مقدمة تفسيره لسورة المدثر : (إنَّها ثانية السور نُزولًا؛ وإنَّها لم ينزل قبلها إلَّا سورة "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ"، وهو الذي جاء في حديث عائشة – رضي الله عنها – في الصحيحين)[١].

٤- **<u>الموضع الثالث: ماجاء في باب قبول الصدقة من الكسب الطيّب</u>:**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – أَنَّ رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ: "لَا يَتَصَدَّقُ أَحَدٌ بِتَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ إِلَّا أَخَذَهَا اللهُ بِيَمِينِهِ فَيُرَبِّيـهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ[٢] أَوْ قَلُوصَهُ[٣] حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ أَوْ أَعْظَمَ .[4]"

---

١ – التحرير والتنوير لابن عاشور، ٢٩/ ٢٩٢، السدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤م.

٢ – الفلو : الْفِلْوُ : الْجَحْشُ وَالْمُهْرُ ، وَالْجَمِيعُ الْأَفْلَاءُ، وَقَدْ فَلَوْنَاهُ عَنْ أُمِّهِ أَيْ فَطَمْنَاهُ، ، وَافْتَلَيْنَاهُ لِأَنْفُسِنَا أَيْ: اتَّخَذْنَاهُ. العين، (ف ل و) باب اللام والفاء وواي معهما، ٨/ ٣٣٣، تح/ د/ مهدي المخزومي، د/ إبراهيم السَّامرَّائي، دار مكتبة الهلال.

٣ – الْقَلُوص: كُلُّ أُنْثَى مِنَ الْإِبِلِ مِنْ حِينِ تُرْكَبُ، وَإِنْ كَانَتْ بِنْتُ لَبُونٍ أَوْ حِقَّةٍ إِلَى أَنْ تَبْزُلَ، سُمِّيَتْ قَلُوصًا؛ لِطُولِ قَوَائِمِهَا. التهذيب، (ق ل ص)، ٣/ ١٥٤.

4 – صحيح مسلم ، باب قبول الصدقة من الكسب الطيّب ، ٣/ ٨٥

٥- **المعنى العام للحديث:**

في هذا الحديث الشريف يُرَغِّبُ النبي – صلى الله عليه وسلَّم – في الصدقة من الكسب الطيّب، مُبيّنًا عظم أجرها وثوابها، حتى ولو كان المُتَصَدَّقُ به ضئيلًا، مادام المقصود من الصدقة وجهه تعالى، وأنَّ مصدرها من الكسب الحلال، فيتلقَّى الله – سبحانه وتعالى – هذه الصدقة بيمينه، ويُنمِّيها، ويزيد من ثوابها، كما يربِّي أحدكم مُهْره الذي فُصِلَ عن أمِّه، وناقته الفتيَّة، ووجه الشبه ليس الحجم، وإنَّما النَّماء البيّن، وسرعة الزيادة[١].

الشاهد من الحديث:

قوله – صلى الله عليه وسلَم – : " حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ أَوْ أَعْظَمَ".

المعنى السياقي:

في هذا السياق يُوضِّح النبي – صلى الله عليه وسلَّم – مدى زيادة الثواب، والأجر الذي يمكن أن تصل إليه الصدقة المقبولة، فيكون ثوابها مثل مقدار ثقل الجبل أو أعظم. و "أو" هنا من وجهة نظري تحتمل ثلاثة معاني، وإن كنتُ أرجح معنى من هذه المعاني الثلاثة على المعنيين الأخرين بدليل ، وسوف أوضِّح ذلك.
المعنى الأول: أن تكون الكلمة النحويَّة "أو" على معناها أو على أصلها، فتكون للإبهام على المخاطب، والمعنى: على التقدير والظنّ أن تكون أعظم من الجبل في ثوابها. المعنى الثاني: أن تكون بمعنى

[١] – فتح المنعم ، ٤/ ٣٤٣

"الواو"، ويكون المعنى : حتى تكون الصدقة في ثوابها مثل الجبل ، وأعظم من ذلك. المعنى الثالث: أن تكون بمعنى "بل" فتكون للإضراب، وهذا ما أرجحه – والله تعالى أعلى وأعلم – بالصواب، ويكون المعنى: حتى تكون الصدقة في عِظَمِ ثوابها مثل الجبل بل أعظم. ودليل ذلك ما جاء في روايات أخرى للحديث الشريف التي تُبيّن أنَّ ثواب الصدقة أعظم من قدر الجبل شموخًا وثقلًا. ومن هذه الروايات ما جاء في كتاب الزكاة في المسند على صحيح مسلم ، عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : " مَا يَصَّدَّقُ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا طَيِّبًا إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِنِهِ وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً فَتَرْبُوا فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ وَيُرَبِّيهَا لَهُ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فُلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ"[1]. والشاهد فيها قوله – صلى الله عليه وسلم –: " حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ " وبهذه الرواية يتبيَّن أنَّ ثواب الصدقة أعظم من الجبل، فتكون "أو" هنا للإضراب بمعنى "بل" ، وسياق الحديث على أنَّ ثواب الصدقة مثل الجبل بل أعظم من ذلك، وهذا ما علَّمنا إياه ربُّ العزَّة في كتابه المحكم، أنَّ الصدقة التي يتوفَّر فيها شروط الإخلاص لوجهه تعالى، ومصدرها الكسب الحلال، فثوابها عظيمٌ مضاعفٌ، لا يعلم قدره سوى الله، ومن

---

[1] – المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم للأصبهاني، كتاب الزكاة، ٣/ ٩٠، تح/ محمد حسن الشافعي، ط/ أولى، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م. وهذه الرواية أيضًا بلفظها في سنن ابن ماجة للقزويني، باب فضل الصدقة، ١/ ٥٩٠، تح/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر – بيروت.

ذلك قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ .[1]

٢ –الكلمة النحويَّة: "لا" :

الكلمة النحويَّة " لا " لها في كلام العرب أربعة مواضع: الموضع الأوَّل: أن تكون حرفًا نافيًا. الموضع الثاني: أن تكون نهيًا. الموضع الثالث: أن تكون حرف دعاء. الموضع الرابع: أن تكون زائدة[٢]. وفي الموضع الأول: حينما تكون حرفًا نافيًا فمن معانيها: أن تكون حرف جواب ورد، بمعنى أنها تأتي في جوابٍ بالنفي على سؤالٍ مُثْبت، نحو: هل أبوك موجودٌ؟ فتُجيب قائلًا: لا ليس موجود.

ويبدو لي أنَّ " لا " هنا، لا يمنع السياق أن تكون للإضراب بمعنى " بل "؛ لأنَّها تأتي لإبطال حكم يعتقده أو يتوهَّمه السائل، فتجيب عنه بالنفي، وهذا ما سأوضِّحه إن شاء الله تعالى في الحديث الشريف التالي.

---

[1] – سورة الحديد : آية ١٨

[٢] – تفصيل ذلك في كتاب رصف المباني، من ص٢٥٧ : ٢٧٤

ماجاء في باب المستحاضة وغسلها وصلاتها:

نص الحديث:

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: (جَاءَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَبِي حُبَيْشٍ[1] إِلَى النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَقَالَتْ: يَارَسُولَ اللهِ إِنِّي امْرَأَةٌ أَسْتَحَاضُ فَلَا أَطْهُرُ أَفَأَدَعُ الصَّلَاةَ؟ فَقَالَ: لَا إِنَّمَا ذَلِكَ عِرْقٌ وَلَيْسَ بِالْحَيْضَةِ فَإِذَا أَقْبَلَتِ الْحَيْضَةُ فَدَعِي الصَّلَاةَ وَإِذَا أَدْبَرَتْ فَاغْسِلِي عَنْكِ الدَّمَ وَصَلِّي)[2].

المعنى العام للحديث:

كانت نساء الصحابة – رضي الله عنهنَّ – مع عِظَمِ حيائهنَّ يسألن النبي – صلى الله عليه وسلم – عمَّا يختصصن به، ويحدث لهنَّ من مسائل تتعلَّق بالطهارة من الحيض والاستحاضة، وهنا في هذا الحديث تروي لنا السيدة عائشة – رضي الله عنها وعن أبيها – أنَّ السيدة فاطمة بنت حبيش كانت امرأة مستحاضة، لا ينقطع عنها الدم، فجاءت تستفتي النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – في أمر هذا الدم، هل يكون في حكم الحيض فتترك الصلاة أبدًا بسبب عدم انقطاعه؟ فأجابها النبي – صلى الله عليه وسلم – بألا تترك الصلاة ، بل عليها أن تصلي، وعليها أن تقدِّر وقت مجيء الحيض، ووقت

---

[1] – فاطمة بنت أبي حبيش هي : أخت السائب بن أبي حبيش بن المطلب بن أسد بن عبد العزي القرشي الأسدي، معدود في أهل المدينة، الذي قال فيه عمر بن الخطاب: (ذاك رجل لا أعلم فيه عيبًا، وما أحد بعد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلا وأنا أقدر أن أعيبه)، هذا ماعثرت عليه من ترجمة لها ، وقد اعتمدت على كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر، ص٣١١، صححه وأخرج أحاديثه / عادل مرشد، دار الأعلام، ط/ أولى ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٢م.

[2] – صحيح مسلم، باب الحيض، ١/ ١٨٠

استمرارية نزوله، ثم بعد ذلك تغتسل لرفع الحدث، وتصلِّي بعد الاغتسال حتى مع نزول دم الاستحاضة؛ لأنَّه دم مرض، وليس حيضًا شرعيًّا.

الشاهد من الحديث:

قول النبي – صلى الله عليه وسلم – لفاطمة بنت أبي حبيش: (لَا إِنَّمَا ذَلِكَ عِرْقٌ وَلَيْسَ بِالْحَيْضَةِ فَإِذَا أَقْبَلَتِ الْحَيْضَةُ فَدَعِي الصَّلَاةَ وَإِذَا أَدْبَرَتْ فَاغْسِلِي عَنْكِ الدَّمَ).

المعنى السياقي :

سياق الحديث هنا يشير إلى أنَ السيدة فاطمة بنت حبيش كانت تعلم أنَّ الحائض لا تصلِّي، فظنَّت أن ذلك الحكم مقترن بجريان الدم من الفرج، فأرادت تحقيق ذلك بسؤالها هذا[١]: (أَفَأَدَعُ الصَّلَاةَ؟) بهمزة الاستفهام، أي: أفأتركها مادامت الاستحاضة معي ولو طالت المدَّة؟ فقال لها النبي – صلى الله عليه وسلم – : " لَا "، أي: لا تدعيها، بمعنى : بل صلي، إنما ذلك الذي تشتكينه دم عرق، انشق وانفجر منه الدم[٢]، ودعي الصلاة قدر الأيام التي كنت تحيضين فيها، ثم اغتسلي وصلي[٣].

فهنا يُبيِّن النبي – صلى الله عليه وسلم – لفاطمة اختلاف مخرجي الدم؛ لأنَّ الحيض يخرج من قعر الرحم، وأمَّا الاستحاضة فمن عرقٍ يُسمَّى "العاذل"، أو "العاذر"، وهذا رد لقولها: "فَلَا أَطْهُرُ"؛ لأنَّها اعتقدت أنَّ طهارة

---

١ – تفصيل هذه المسألة في كتاب تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري، باب المستحاضة، ١/ ٣٣١، دار الكتب العلمية – بيروت.

٢ – السابق، ١/ ٣٤٣

٣ – تيسير العلام شرح عمدة الحكام للبسام، ١/ ٥٦، دار المعنى – السعودية، ط/ أولى، ١٤٢٧هـ ، ٢٠٠٧م.

الحائض لا تُعرَف إلا بانقطاع الدم، فكنَّت بعدم الطهر عن اتصال الدم، فأبان لها صلى الله عليه وسلم أنه ليس بحيضٍ، وأنَّها طهارة يلزمها استمراريَّة الصلاة[1]، وبهذا يكون النبي – صلى الله عليه وسلم – أبطل بجوابه هذا ماتوهَّمت السيدة فاطمة ثبوته، وهو عدم الصلاة بسبب استمرارية الدم.

٦– **لكن بمعنى بل:**

من ذلك ماجاء في باب : زيادة فضلة الطعام ببركة دعاء النَّبي – صلى الله عليه وسلَّم – :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِي اللهُ عَنْهُ – أَنَّهُ قَالَ: (لَمَّا كَانَ غَزْوَةُ تَبُوكَ أَصَابَ النَّاسَ مَجَاعَةٌ قَالُوا: يَارَسُولَ اللهِ لَوْ أَذِنْتَ لَنَا فَنَحَرْنَا نَوَاضِحَنَا فَأَكَلْنَا وَادَّهَنَّا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " افْعَلُوا ". قَالَ: فَجَاءَ عُمَرُ، فَقَالَ: يَارَسُولَ اللهِ: إِنْ فَعَلْتَ قَلَّ الظَّهْرُ، وَلَكِنِ ادْعُهُمْ بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ، ثُمَّ ادْعُ اللهَ لَهُمْ عَلَيْهَا بِالْبَرَكَةِ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَجْعَلَ فِي ذَلِكَ . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " نَعَمْ ". قَالَ: فَدَعَا بِنِطَعٍ فَبَسَطَهُ ثُمَّ دَعَا بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ)[2].

---

[1] – سبل السلام لمحمد الصنعاني، باب نواقض الوضوء، ١/ ٦٣، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط/ رابعة، ١٣٧٩هـ ، ١٩٦٠م.

[2] – صحيح مسلم، ١/ ٤٢

المعنى العام للحديث:

لما كانت تبوك خرج المسلمون في قلَّة من الظَّهر[١]، حتى وصلوا إلى موضع يُسمَّى "تبوك"، وقد بلغ بهم الجهد، واشتدَّ بهم العطش، فكانوا ينحرون من البعير؛ ليشربوا ما في كرشه من الماء، وما لبثوا أن خفَّتْ أزوادهم، ونفد طعام أكثرهم، وأصابتهم مجاعة كبرى، فذهبوا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلَّم – يستأذنونه في ذبح ما تبقَّى لديهم من إبلهم التي يركبونها، ولم ير رسول الله – صلى الله عليه وسلَّم – منفذًا من هذه الضائقة إلَّا أن يأذن لهم[٢].

الشاهد من الحديث:

قول سيدنا عمر بن الخطَّاب – رضي الله عنه – : (إِنْ فَعَلْتَ قَلَّ الظَّهْرُ، وَلَكِنْ ادْعُهُمْ بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ).

المعنى السياقي :

رأى سيدنا عمر بن الخطَّاب النَّاس ينحرون إبلهم، وعلم أنَّهم قد استأذنوا النبيّ – صلى الله عليه وسلم – في ذلك، فأذن لهم، فذهب عمر إلى النبيّ – صلى الله عليه وسلَّم – فزِعًا، يسأله مابقاء النَّاس بعد إبلهم؟ وهو يُؤمن بمعجزات النبيّ – صلى الله عليه وسلَّم – التي من شأنها أنَّها ستُنقِذ المسلمين من هذه المجاعة دون نحر الإبل، وذلك بأن يجمع النبيّ – صلى الله عليه وسلَّم – ماتبقَّى من أزواد القوم، ويدعوا عليها بالبركة.

---

١ – الظَّهْرُ الرِّكَابُ تَحْمِلُ الْأَثْقَالَ فِي السَّفَرِ. العين للخليل بن أحمد، مادة (ظهر)، باب الهاء والظاء والراء معهما، ٤/ ٣٧

٢ – فتح المنعم شرح صحيح مسلم، ١/ ٩٩

ومن سياق الحديث يمكن حمل الكلمة النحوية "لكن" على معنى الكلمة النحويَّة "بل"؛ وذلك لأنَّ سيدنا عمر بن الخطَّاب لم يقصد هنا رفع التوهُّم عن شيء – الذي هو مفهوم الاستدراك – ، بل هو يرى بالفعل أنَّ في نحر الإبل مايُعرِّض المسلمين إلى مشاكل كبرى، فأراد بمشورته هذه على النبيّ – صلَّى الله عليه وسلم – إلغاء وإبطال أمر النحر، والاستعاضة عنه بدعاء النبيّ – صلى الله عليه وسلم – بالبركة على ما تبقَّى من الزاد. وهذا ما أشار إليه ابن الجوزي حين قال: (هذا الحديث يدلُّ على أنَّ إنَّما أذن لهم برأيه لا بالوحي، فلما أشار عمر بما رآه أصلح مال إليه، وفي هذا فضلٌ كثيرٌ لعمر)[1]. وفي ذلك يقول الزجَّاجي: (وتكون "لكن" بمنزلة "بل" ردًّا للجواب وتحقيقًا)[2]. والنبيّ– صلى الله عليه وسلم – لم يكن ليغيب عنه حقيقة ما قال عمر، وما أشار به, بل كان يؤمن بأنَّ الله لن يُخيِّب رجاءه إذا رجاه، ولكنَّه – صلى الله عليه وسلَّم – كان يقصد تعويد الأمَّة على الاعتماد على نواميس الحياة، دون خوارق العادات، وبالفعل حين أشار عمر بالمعجزة لوجهة نظره الصائبة، عدل النبيّ – صلى الله عليه وسلَّم – عمَّا أذِن به، وأخذ بمشورة عمر بن الخطَّاب ، وقام رسول الله – صلى الله عليه وسلَّم – ودعا على ما تبقَّى من الزَّاد بالبركة[3].

---

١ – كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي ، ١/ ٧٨٨، تح/ علي حسين البواب، دار الوطن – الرياض، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م.

٢ – حروف المعاني للزجاجي، ص ٣٣

٣ – فتح المنعم، ١/ ٩٩

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الطيبة المباركة مع حديث نبيّنا الكريم سيدنا محمَّدٍ – صلى الله عليه وسلم – ، ومحاولة فهم سياقه وتأمُّل معانيه ؛ لاستنباط هذه المعاني المباركة، واستخراج بعض الكنوز المكنونة بين سطوره، كان من أهم النَّتائج التي أسفر عنها البحث مايلي:-

١- يتداخل مفهوم الاستثناء والاستدراك إلى حد كبير، ويختلفان في لمحتين فارقتين بينهما :

اللمحة الأولى: أن الاستثناء هو إخراج أحد أفراد المجموعة من حكمٍ سابقٍ فقط ، نحو: جاءني القوم إلا زيد، أما الاستدراك : ليس فقط أنك نفيت الحكم السابق عن الثاني أو أثبته له، ولكن كأنك انتقلت من قصةٍ إلى قصةٍ أخري، تقول : جاءني عبد الله لكن زيد لم يجيء، فكأنك تركت القصة الأولى وهي قصة مجيء عبد الله، وانتقلت إلى قصة أخرى، وهي قصة عدم مجيء زيد. اللمحة الثانية: أنَّ المستثنى في الاستثناء داخل ضمن أفراد المجموعة المستثنى منها، نحو": جاءني القوم إلا زيد، فزيد فرد ضمن القوم، أما في الاستدراك فليس داخلٌ فيها، فحينما تقول: جاءني عبد الله لكن زيد لم يجيء، فزيد ليس داخلٌ في عبد الله، ولكن هذه قصة ، وتلك قصة أخرى.

٢- تعدد الروايات في الحديث الشريف يساعد على فهم الحديث، وكأن الروايات تكمل بعضها بعضا، وهذا مايلمسه الدارس في الحديث الشريف، لذا كان للسياق الخارجي الدور الأكبر في إبراز المعنى السياقي للأدوات والحروف مجال البحث والدراسة، فكثيرًا ما تكون الرواية الثانية هي القرينة المؤيدة للمعنى.

٣- يؤدي المعنى الوظيفي للأداة النحوية دورًا مهمًا في الكشف عن المعنى العام للحديث.

٤- للسياق الدور الرئيس في تحديد معاني الكلام، فلا يمكن فهم الألفاظ فهمًا صحيحًا بمعزلٍ عن سياقاتها، ومن خلال هذا البحث استطاع السياق أن يساعد في تحديد معاني الادوات الدالة على الاستدراك والإضراب، وخاصَّةً وأن هذه الأدوات تحمل أكثر من معنى .

٥- تركيب الاستثناء المنقطع هو تركيب الاستدراك فلا تخرج الكلمة النحويَّة "إلا" لمعنى الاستدراك إلا في الاستثناء المنقطع وليس المتصل.

٦- كذلك الكلمة النحويَّة "غير" أصلها الاستثناء، ولكنها إذا أتت مصحوبة بـ "أَنَّ" تخرج إلى معنى الاستدراك، ويسمَّى ذلك استثناءً منقطعًا؛ لأنَّه إخراجٌ لما دخل في دلالة المفهوم لا المنطوق.

٧- كذلك الكلمة النحويَّة "بَيْدَ" يُستثنى بها في الاستثناء المنقطع خاصَّة، وتكون على معنى الاستدراك ودفع التوهُّم بمعنى "لكن"، ولا تأتي في الاستثناء المتصل .

٨- الأداة " إلَّا " إذا أتت في سياق الكلام مقترنة بـ "أن" فهي على معنى " لكن " للاستدراك.

٩- السياق هو المتحكم في معنى "أو" ، و "لولا"، فتكون الكلمة النحويَّة "أو" للاستدراك إذا لم تقبل معنى التخيير أو الإباحة أو الشك أو الإبهام أو التفضيل، وكذلك "لولا" تكون للاستدراك إذا لم تقبل معنى التحضيض أو الامتناع.

١٠- تشترك الكلمة النحويَّة "لا" النافية مع الكلمة النحويَّة "بل" في معنى إبطال الحكم، وتأتي "لا" على معنى "بل" إذا توفر فيها أمر لم يكن متوفرًا فيها حال كونها نافية، وهو: في حالة كونها نافية لم يكن لدى السائل أيّ اعتقاد أو توهُّم يريد إثباته أو نفيه، أمَّا في

حالة كونها محمولة على معنى الإضراب يكون لدى السائل اعتقادًا أو توهُّمًا يريد إثباته أو نفيه.

١١- تكون الكلمة النحويَّة "لكن" بمنزلة الكلمة النحويَّة "بل" إذا كانت ردًّا للجواب وتحقيقًا، بمعنى ردّ ودفع الجواب عن الأوَّل وإثباته للثاني، كأن تقول: ماقام زيد لكن عمرو، فكان الكلام بمنزلة رد الجواب ودفعه عن زيد وتحقيقه لعمرو.

١٢- الكلمات النحويَّة التي خرجت لمعنى الاستدراك أغلب من التي خرجت لمعنى الإضراب؛ وربما كان السبب في ذلك أنَّ الكلام يحتاج إلى رفع التوهُّم لدى السائلين أو المخاطبين ، وهذه هي السمة الغالبة على الكلام .

هذا وكان من أهم توصيَّات البحث:

١- ضرورة تعليم النشأ الصغير منذ منبتهم حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلَّم- بجانب كتاب الله – عزَّ وجلّ –، وأن يلتزم منَّا بوردٍ يوميٍّ من الحديث الشريف بجانب القرآن الكريم؛ لأنَّ إيمان الفرد لا يكتمل إلا بتعلُّمهما معًا.

٢- ضرورة تصنيف البحوث والرسائل العلميَّة اللغويّة ، كلٌّ على حسب موضوعه، ومنهجه، في كتب ومصنَّفات لخدمة شرح الحديث الشريف لغويًّا، ونشرها حتى يعمّ النفع للجميع؛ وذلك نظرًا لأنَّ أغلب الكتب التي تخدم الحديث الشريف المنشورة والمتداولة تخدم الحديث من ناحية الأبواب الفقهيَّة أكثر منها لغويًّا.

المصادر والمراجع

١- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر، صححه وأخرج أحاديثه / عادل مرشد، دار الأعلام، ط/ أولى ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٢م.

٢- أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، ط/ أولى، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م.

٣- إسعاف المبطأ برجال الموطَّأ للإمام السيوطي، المكتبة التجاريَّة الكبرى – مصر، ١٣٨٩هـ ، ١٩٦٩م.

٤- الأصول في النحو لابن السراج، تح/ د/ عبد الحسين الفتلى، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط/ ثالثة، ١٩٨٨م.

٥- الأعلام للزركلي، دار العلم للملايين، بيرت – لبنان، ط/ سابعة، ١٩٨٦م.

٦- – البيان والتبيين للجاحظ ، تح/ عبد السلام هارون، دار الجيل – بيروت.

٧- التاريخ الكبير للإمام البخاري، إعداد مصطفى عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٨- التحرير والتنوير لابن عاشور، السدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤م.

٩- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري، دار الكتب العلمية – بيروت.

١٠- تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني، تح/ أبو الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني، دار العاصمة.

١١- تهذيب اللغة للأزهري، تح/ عبد السلام هارون، راجعه/ محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، الدار القومية العربية للطباعة، ١٣٨٤هـ ، ١٩٦٤م.

١٢- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك للمرادي، شرح وتحقيق/ عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط/ أولى، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٨م.

١٣- تيسير العلام شرح عمدة الحكام للبسام، دار المعنى – السعودية، ط/ أولى، ١٤٢٧هـ ، ٢٠٠٧م.

١٤- الثقات لابن حبان، تح/ السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، ط/ أولى ١٣٩٥هـ ، ١٩٧٥م.

١٥- الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم للحميدي، تح/ علي حسين البواب، دار ابن حزم – لبنان – بيروت، ط/ ثانية، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٢م.

١٦- الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي، تح/ فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط/ أولى، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

١٧- حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية بن مالك لمحمد بن علي الصبان، مكتبة مشكاة الإسلامية.

١٨- حروف المعاني للزجاجي ، تح/ علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط/ أولى ، ١٩٨٤هـ .

١٩- دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، تح/ د/ محمد التنجي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط/ أولى، ١٩٩٥م.

٢٠- دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، د/ عبد الفتاح البركاوي،، رقم الإيداع، ١٠٠٨٢/ ١٩٩١م.

٢١- الدلالة السياقية والمعجمية فى معلقة امرىء القيس، د/ عبد الفتاح أبو الفتوح, مطبعة الأمانة- القاهرة, ١٩٩٥م .

٢٢- ديوان ذو الرمة ، اعتنى به وشرح غريبه عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط/ أولى، ١٤٢٧هـ ، ٢٠٠٦م.

٢٣- رصف المباني في شرح حروف المعاني للإمام المالقي، تح/ أحمد محمد الخرَّاط، مجمع اللغة العربية ، دمشق – حلب، ١٣٩٤هـ .

٢٤- سبل السلام لمحمد الصنعاني، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط/ رابعة، ١٣٧٩هـ ، ١٩٦٠م.

٢٥- سنن ابن ماجة للقزويني، تح/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر – بيروت.

٢٦- شرح حديث جبريل في تعليم الدين لعبد المحسن بن حمد العبَّاد البدر، ترجمة وتحقيق حافظ زبير علي زقي، مكتبة إسلاميَّة.

٢٧- شرح الحديث المقتفى في مبعث النبي المصطفى لأبي شامة المقدسي، تح/ جمال عزون، مكتبة العمرين العلمية – الشارقة/ الإمارات ، ط/ أولى١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩م.

٢٨- شرح الدماميني على مغني اللبيب للدماميني، صححه وعلق عليه أحمد عزو عناية، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ط/ أولى، ١٤٢٨هـ ، ٢٠٠٧م.

٢٩- شرح الرضي على الكافية ، تح/ يوسف حسن عمر، طبعة جديدة من منشورات جامعة قاريونس ببنغازي، ط/ ثانية ، ١٩٩٦م .

٣٠- شرح الزرقاني على موطَّأ الإمام مالك للزرقاني، دار الكتب العلميّة – بيروت ، ١٤١١هـ.

٣١- شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام الأنصاري، تح/ محمد محي الدين عبد الحميد، ط/ الحادية عشرة، القاهرة ١٣٨٣هـ .

٣٢- شرح النووي على صحيح مسلم للإمام النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط/ ثانية، ١٣٩٢هـ .

٣٣- صحيح البخاري ، تشرف بخدمته والعناية به محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، ط/ أولى ١٤٢٢هـ .

٣٤- صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج النيسابوري، دار الجيل، دار الآفاق الجديدة – بيروت.

٣٥- عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٦- عون المعبود شرح سنن أبي داوود لمحمد آبادي أبو الطيب ، دار الكتب العلمية – بيروت، ط/ ثانية، ١٤١٥هـ .

٣٧- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ، تح ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ .

٣٨- فتح المنعم شرح صحيح مسلم ، د/ موسى شاهين لاشين ، دار الشروق – القاهرة، ط/ أولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

٣٩- في علم النحو العربي – رؤية جديدة وعرض نقدي – لصبري المتولي، دار غريب – القاهرة ، ٢٠٠١م.

٤٠- الكتاب لسيبويه، ١٢/١، تح/ عبد السلام محمد هارون، دار الرفاعي – القاهرة.

٤١- كتاب العين للخليل بن أحمد، تح/ د/ مهدي المخزومي، د/ إبراهيم السَّامرَّائي، دار مكتبة الهلال.

٤٢- كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي ، تح/ علي حسين البـواب، دار الوطن – الرياض، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م.

٤٣- الكليات للكفوي، تح/ عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م.

٤٤- لسان العرب لابن منظور، ط أولى، دار صادر – بيروت.

٤٥- اللباب في علل البناء والإعراب لأبي البقاء العكبري، تح/ غازي مختار طليمات، دار الفكر- دمشق،ط/ أولى، ١٩٩٥م.

٤٦- اللمحة في شرح الملحة لمحمد بن الحسن الصايغ، تح/ إبراهيم بن سالم الصاعدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية-المدينة المنورة- السعودية، ط/ أولى، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٤م.

٤٧- اللمع في العربية لابن جني، تح/ فائز فارس، دار الكتب الثقافية – الكويت، ١٩٧٢م.

٤٨- اللباب في علل البناء والإعراب لأبي البقاء العكبري، تح/ غازي مختار طليمات، دار الفكر- دمشق،ط/ أولى، ١٩٩٥م.

٤٩- مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للمباركفوري، إدارة البحوث العلميَّة والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفيَّة – بنارس الهند، ط/ ثالثة، ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م .

٥٠- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للملا علي القاري – نور الدين علي بن سلطان محمد القاري، دار الفكر، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠٢م.

٥١- مسند أبي يعلى لأبي يعلى التميمي(مسند جابر) ، تح/ حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث – دمشق، ط/ أولى، ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م.

٥٢- المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم للأصبهاني، تح/ محمد حسن الشافعي، ط/ أولى، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م.

٥٣- مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض المالكي، المكتبة العتيقة – دار التراث.

٥٤- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية إعدادًا وتحقيقًا، دار الدعوة.

٥٥- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام، تح/ د/ مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر – بيروت ، ط/ سادسة، ١٩٨٥م.

٥٦- مقاييس اللغة لابن فارس، تح/ عبد السَّلام محمد هَارُون، اتحاد الكُتَّاب العرب، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢م.

٥٧- المقتضب للمبرد، تح/ محمد عبد الخالق عضيمة – القاهرة، ط/ ثالثة، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

٥٨- الموجز في قواعد اللغة العربية للأفغاني، دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م.

٥٩- النحو الوافي لعباس حسن ، دار المعارف، ط/ الخامسة عشرة.

٦٠- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، تح/ طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت ، ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م.